الفصل الثالث

السلطة والدين والمجتمع الحضري بالمغرب

(١-٥٥/٧-١١م)

obeikandl.com

obeikandl.com

ترتبط المدينة والسلطة بعلاقات متعددة. فبالإضافة إلى الجانب العمراني والسياسي، نجد الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والدينية وغيرها.

فقد تحكمت السلطة في مجتمع المدينة عبر سياسة القوة، بل المبالغة والإفراط في استعمالها أحيانا، خاصة مع قيام تمردات و انتفاضات حضرية لسبب ما. لكن من جهة أخرى، حافظت على تماسك نسبي بين مختلف الشرائح الاجتماعية الحضرية فيما بينها، أو بينها وبين سكان البوادي والأرياف، وبالأخص حينما توجد سلطة حاكمة قوية ومالكة لزمام الأمور ...

اقتصاديا، تميزت السياسة المالية للسلطة خلال العصر الوسيط عموما بالقسوة، وبتزايد الثقل الضريبي تدريجيا كلما توسعت أنظمة الحكم و تفرعت، لكن بالمقابل وطدت السلطة الأمن وعملت على تحقيق الاستقرار و شيدت بعض التجهيزات، مما شجع الناس على العمل والإنتاج، وسمح بازدهار التجارة وكذلك ازدهار الأنشطة الحرفية والفلاحة المرتبطة بها. أما دينيا، فتبنت المدن المغربية مذاهب دينية مختلفة تبعا للسلطة الغالبة، قبل أن يقوم المرابطون بالعمل على تحقيق الوحدة المذهبية في إطار التوجه السني المالكي. بالرغم من بعض الإشكالات التي استمرت في الواقع كالاستقلال المذهبي لبورغواطة ثم مسألة حرق "الإحياء" وما أثير حوله وغير ذلك.

المبحث الأول : السلطة والمدينة: العلاقات الاجتماعية والاقتصادية

كما ذكرنا سابقا، فإن من أهم الأسس التي تستند عليها السلطة هي الأساس الاجتماعي، وبالتالي فهي تعمل جاهدة على جعل شأن التدبير العام حكرا على قبيلتها وعصبيتها، و إذا ما سمحت لفئات اجتماعية معينة بتحمل مسؤولية ما، فإنما لتخفف عنها حملها، وتبقى دوما متيقظة تراقب سير الأمور ولا تسمح بأي تغيير، في إطار إتباع سياسة المحافظة على"الواقع الراهن"، ولو اقتضى الأمر استعمال منهج "العنف المشروع " ضد "المارقين" و"الخارجين" عنها. بل حتى ضد المعبرين عن تضررهم من سلوكها، خاصة فيما يتعلق بسياستها المالية الشديدة الوطأة على الناس، والتي تزيد من تذمرهم وانخفاض مستوى عيشهم، وهو ما يساعد على إشعال فتيل الانتفاضات الحضرية ذات الطابع الاجتماعي والاقتصادي، وذلك كلما سنحت الفرصة وانشغلت السلطة أو ضعفت.

لكن بالمقابل، ساهمت السلطة في ترسيخ الفكر الوحدوي وانفتاح المجتمع الحضري على الشرق و الأندلس خاصة في العصر المرابطي، وإحداث تحولات بشرية كبرى بالمدينة المغربية التي دخلت في دورة اقتصادية أوسع.

أولا : العلاقات الاجتماعية

*****

تشكلت علاقة السلطة بالمجتمع في تاريخ المغرب على أساس الشوكة والغلبة والإخضاع القهري، بل وصلت في بعض الأحيان إلى حد الظلم و الجور والاعتداء، ومن أمثلة ذلك ما ذكره إبن عذاري عن يزيد إبن أبي مسلم من كونه "كان ظلوما غشوما، وكان البربر يحرسونه، فقام على المنبر خطيبا، فقال : "إني رأيت أن أرسم إسم حرسي في أيديهم كما تصنع ملوك الروم بحرسها..". فلما سمعوا ذلك منه، أعني حرسه، اتفقوا على قتله، وقالوا : "جعلنا بمنزل النصارى... فلما خرج من داره إلى المسجد لصلاة المغرب قتلوه في مصلاه..." ،[1] كما أنه كان يضع الجزية على البربر الذين أسلموا " على نحو ما كانت تؤخذ منهم و هم كفار".[2]

في سجلماسة، يذكر أن اليسع بن أبي القاسم الملقب بأبي المنصور (١٧٤-٢٠٨هـ/٧٩٠-٨٢٣م)، وهو من بني مدرار، حكم بيد من حديد وأسرف في البطش حتى وصف بأنه "كان جبارا عنيدا، فظا غليظا"،[3] وبهذا كان يهدف إلى تذليل السكان وإخضاعهم.

---

(١)- إبن عذاري،ج.I، ص.٤٨.

(٢)- محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت،ج.VI، ص.٦١٧.

(٣) - البكري، **المسالك**،ج.II، ص.٣٣٥.

إذا كان إدريس الأول و إدريس الثاني قد عرف عنهما العدل مع الرعية وحسن السيرة، فإن بعض أمراء الأسرة الإدريسية لم يكونوا في مستوى الأحداث، وهذا ما ينطبق مثلا على الأمير يحيى بن يحيى بن محمد بن إدريس الذي انهمك - فيما يروى- في شرب الخمر وملاحقة النساء، حتى انتهى به الأمر إلى الدخول على إحدى بنات اليهود في الحمام، فكان ذلك سببا في قيام ثورة عامة بمدينة فاس بقيادة عبد الرحمان بن أبي سهل الجذامي، أحد زعماء البيوتات العربية، "فلما رأت زوجة يحيى الحسني، وهي عاتكة بنت علي بن عمر بن إدريس رضي الله عنه أن زوجها يحيى بادر إليه العامة مع عبد الرحمان بن أبي سهل ليقتلوه أمرته بالفرار، ففر أمامهم من عدوة القرويين إلى عدوة الأندلس، فمات بها من ليلته فقعة (أي حسرة) وندامة لما صنع بنفسه وما وقع فيه من العار والخجل والفضيحة".[١]

لكن زوجته عاتكة بنت علي بن عمر بن إدريس كتبت إلى أبيها الذي كان يسيطر على "بلاد صنهاجة وغمارة"[٢] تخبره بما جرى، في الوقت الذي استدعاه فيه "أهل الدولة من العرب والبربر والموالي"[٣]، فجمع جيشه وأسرع إلى فاس، فتمكن من دخولها والسيطرة عليها وبذلك انتقل الحكم من بني عمر بن إدريس[٤] بسبب ثورة العامة بزعامة عبد الرحمان الجذامي أحد زعماء العرب.

---

(١)- **القرطاس**، ص.٩٣-٩٤ / وينظر كذلك : البكري، ج.II، ص.٣٠٩/ إبن عذاري، ج.I، ص.٢١١-٢١٢.

(٢)- **القرطاس**، ص.٩٤، وسماه الناصري"صاحب الريح والسواحل" (**الإستقصا**،ج.II ، ص.٥٣).

(٣)- **الإستقصا**،ج.II، ص.٥٣.

(٤)- البكري، **المسالك**،ج.II، ص.٣٠٩/ إبن عذاري،ج.I، ص.٣١٢/ الإستقصا،ج.II، ص.٥٣.

أثناء فترة ما عرف بالصراع الأموي الفاطمي، ورغم تراجع اهتمامات القوى الكبرى بنكور، فقد زحف عليها موسى بن أبي العافية فحاصرها حتى تغلب على صاحبها المؤيد عبد البديع وقتله، واستباح المدينة سنة ٣٢٣هـ،[١] لكن أهل نكور استمروا في المقاومة بما أوتوا من قوة واعتمادا على قدراتهم الذاتية للقضاء على موسى بن أبي العافية،كما ثاروا في سنة ٣٣٦هـ على الأمير عبد السميع وقتلوه، وولوا عليهم جرثم (أوجريج) بن أحمد بن زيادة الله بن سعيد بن إدريس بن صالح بن منصور، بعد أن كان مقيما ببالقة، "فاستقامت له الأمور وكان على مذهب سلفه في الإقتداء والعمل بمذهب مالك".[٢]

طبعت مسألة الثورات والإنتفاضات الحضرية الإمارة الحميرية منذ مراحلها الأولى، فقد انتفضت غمارة على سعيد بن إدريس، فخلعته وولت عليها رجلا منها إسمه سكن، لكن الله أظهره عليهم "وفرق جماعتهم وقتل مقدمهم".[٣] كما شكل الصقالبة فئة مهمة داخل مجتمع مدينة نكور، حتى سميت قرية باسمهم (قرية الصقالبة) ،[٤] ويروى أن سعيد بن صالح لما تولى زمام السلطة "دخل عليه عبيدهم الصقالبة، وسألوه العتق، فقال لهم أنتم جندنا وعبيدنا، لا تدخلون في ورثنا فما طلبكم للعتق؟ "، فألحوا عليه في ذلك فأبى، فناله منهم جفاء وغلظة..."،[٥] بل إنهم

---

(١)- البكري،ج.II ، ص.٢٨١ / ويذكر إبن عذاري أن ذلك كان سنة ٣١٧ هـ (**البيان المغرب**،ج.I، ص.١٩٤)، وكذلك إبن خلدون (**العبر**،ج.VI،ص.٢٨٥).

(٢)- **العبر**،ج.VI،ص.٢٨٦.

(٣)- **العبر**،ج.VI، ص.٢٨٤.

(٤)- البكري،ج.II، ص.٢٧٧.

(٥)- البكري،ج.II، ص.٢٧٧/ إبن عذاري،ج.I، ص.١٧٧.

تآمروا عليه، وقدموا عليهم أخاه عبيد الله[١] وعمه أبا علي الرضى، وزحفوا جميعا إلى قصر الإمارة للانقلاب على الأمير سعيد، لكن هذا الأخير، ورغم صعوبة الموقف، فإنه لم يستسلم، فحاربهم من أعلى القصر بالفتيان الذين بقوا على ولائهم له ثم النساء،[٢] كما "قامت عليهم العامة فأخرجوهم إلى قرية فوق المدينة تعرف بقرية الصقالبة، فتحصنوا بها سبعة أيام، وحشد سعيد، وخرج إليهم، وظفر بهم بعد حرب شديدة".[٣] "ويقدم البكري إشارة بالغة عميقة الدلالة على حركة العامة بنكور، في سابقة مثيرة للانتباه إلى بواكير الثورات الاجتماعية الحضرية بالغرب الإسلامي، فالصقالبة من جند الإمارة وأرباب الدواوين المحذقون بالقصر يشكلون لا محالة خطرا على أرباب المعايش والسوقة وسواد العامة، في حالة تمكنهم من زمام الأمر. فما كان عليهم إلا أن تداعوا من أرباضهم وأسواقهم لفك هذا الحصار عن الأمير، وثاروا بالصقالبة وقاموا عليهم من كل ناحية وأخرجوهم من المدينة، وبقدر ما تنبه العامة إلى تعاظم دورهم في حماية الحاضرة والذب عن حرمة الإمارة، انتبه الأمير سعيد بن صالح إلى أهمية الاستناد على العامة لفك طوق العزلة وتأمين مركز السلطة ومباشرة استئصال رؤوس الفتنة من قواد الجند ورؤوس القبائل المنزوية... مقدما بذلك مثالا على تحول الإمارة إلى قيادة العامة في مواجهة الخاصة".[٤]

من خلال المصادر التاريخية يتضح أن تطور السلطة ساهم في تطور المدينة المغربية في أبعادها المختلفة، ومنها تزايد الهجرة من الريف إليها، خاصة تلك التي

---

(١)- أو عبد الله عند إبن خلدون (**العبر**،ج.VI، ص.٢٨٤)

(٢)- البكري،ج.II، ص.٢٧٧ / إبن عذاري،ج.I، ص.١٧٧.

(٣)- البكري،ج.II، ص.٢٧٧، وينظر أيضا إبن عذاري،ج.I، ص.١٧٧-١٧٨.

١٦- الطاهري، **إمارة بني صالح**، ص.٦٧-٦٨.

أسست لتكون قاعدة لنظام سياسي يرتكز على عصبية قبلية مساندة تمده بأسباب البقاء والإستمرار، مثل نكور وسجلماسة وفاس ومراكش ووجدة وتارودانت ...كما زاد من وتيرة التأثير والتأثر بين المجالين الحضري والقروي، خاصة مع استمرار العلاقة القوية بين هؤلاء المهاجرين ومجتمعهم البدوي الأول وهو ما أثر على نوعية وبنية الاقتصاد، وأسهم في تطور ظاهرة "تأريف المدن" و"بدونتها"، وتضخم فئة العامة التي غذت الكثير من الصراعات والانتفاضات الحضرية.

تفرز التطورات السياسية ونوعية السلطة الحاكمة طبيعة التحولات والخريطة البشرية بالمدينة والمجال المهيمن عليه بشكل مهم. فمع دخول الفاتحين المسلمين إلى المغرب، استقر بعض العرب في منطقة الريف، ويظهر أن وجودهم استمر بها إلى منتصف ق.٥هـ/ ١١م، إذ يروي البكري مثلا أن سكان مدينة سبتة عرب وبربر، و"عربها تنسب إلى صدف"،[١] وكذلك مدينة طنجة، فقد أشار إبن عذاري[٢] أن أبا عبد الرحمان موسى بن نصير ولى مولاه طارق عليها في سبعة عشر ألفا من العرب الذين أمرهم أن يعلموا البربر القرآن ويفقهوهم في الدين.كما وصلت مجموعات عربية أخرى إلى منطقة السوس عبر مراحل، أولها مع حملة عقبة بن نافع الفهري.

مع قيام السلطة الحميرية وبسط نفوذها على مجموعة من المدن خاصة على الواجهة المتوسطية من مثل نكور ومليلية وتمسامان وبادس ... والتي استقرت بها بعض القبائل العربية كبني سعيد وبني وليد وبني شداد وبني مروان وبني حميد من

(١)- البكري،ج.II،ص.٢٨٥.

(٢)- البيان المغرب،ج.I ،ص.٤٢.

عرب الصدف،[١] بالإضافة إلى أن العبيد الصقالبة أصبحوا يشكلون جزء من المجتمع، بل قاموا بأدوار خطيرة في تاريخ إمارة نكور كما ذكرنا سالفا.

في سنة ١٨٩هـ وفدت على إدريس الثاني وفود العرب من إفريقية والأندلس من القيسية والأزد ومذحج وبني يحصب والصدف وغيرهم، إضافة إلى وفود "البربر من جميع الآفاق، فكثر الناس وضاقت بهم مدينة وليلي"،[٢] ولهذا سيسكنهم الإمام قاعدته الجديدة فاس، وسيحتل هؤلاء المهاجرون العرب مواقع مهمة، بيد أن ذلك لم يؤثر كثيرا في البنية السكانية والعرقية، إذ لم يكن للعرب تأثير كبير في المغرب إلا مع الهجرات الهلالية.[٣] وعلى أي، فقد شارك هؤلاء في بناء القاعدة الإدريسية بفضل ماحملوه من تراث أهل الأندلس الشامي الأصل، ومن تراث أهل إفريقية الذي ظهرت فيه مؤثرات مصر والشام والعراق.[٤] وكان لذلك آثاره الاجتماعية المعتبرة، فقد ساهم في تحضر القبائل البربرية واقتباسها لعادات وفنون الوافدين ذوي التقدم الحضاري.

بإمارة سجلماسة الناشئة، كان تقلد عيسى بن يزيد الأسود إمامة الصفرية مرتبطا بتفوق عنصر السودان على باقي العناصر القبلية الأخرى، وهجرة قبائل مكناسة وتفوقها عدديا غير من الأوضاع السياسية بالمدينة، ونقل السلطة إلى بني مدرار الزناتيين الذين عملوا على تنشيط الحركة التجارية القريبة والبعيدة المدى، مما ساعد على استيطان سجلماسة من طرف فئات اجتماعية مشرقية من البصرة والكوفة

---

(١)- بيصعين، الصراع الفاطمي الأموي، ج.I، ص.٣٣.

(٢)- القرطاس، ص.٣٥.

(٣)- طه جمال أحمد، مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين، ص.١٥٧.

(٤)- جمال أحمد، مدينة فاس ...، ص.٥٥.

وبغداد، وهو ما ساهم في تحضر وتمدن سكانها، ولعل هذا ما جعل ابن حوقل يتحدث عن خصوصية مظهرهم وأخلاقهم، فيقول : "... وأهلها قوم سراة مياسير يباينون أهل المغرب في المنظر والمخبر، مع علم وستر وصيانة وجمال واستعمال للمروءة ورجاحة..."[١]

تبقى أهم التحولات البشرية والاجتماعية بالمدينة المغربية هي تلك التي أحدثها مجيء المرابطين، فأعداد قبائل صنهاجة التي ساهمت في غزو واكتساح المغرب كانت هائلة، فقد استمر تدفقها وتوافدها على المدن المغربية، خاصة في عهد أبي بكر ويوسف بن تاشفين. وهو ما يشير إليه صاحب "الحلل"[٢] بقوله : " ... ولما كان في سنة ستين وأربعمائة استقامت الإمارة للأمير أبي بكر بن عمر، وطاعت له البلاد، ووجه عماله إليها واستوطن مدينة أغمات، وتوالت عليه الوفود والجيوش من الصحراء، فكثر الخلق، وعظم الإزدحام بأغمات ...". وبتولي يوسف بن تاشفين زمام السلطة، تمكن المرابطون من إتمام سيطرتهم على مدن المغرب الأقصى. فقد دخلوا مكناسة وفاس وطنجة وتلمسان وغيرها، مما يسر تدفق صنهاجة الصحراء إلى مدن الشمال، خاصة بعد أن بعث الأمير يوسف "إلى الصحراء : للمتونة ومسوفة وجدالة وغيرهم. يعلمهم بما فتح الله عليهم، ملك المغرب، وطاعة أهله ويؤكد عليهم في القدوم إليه، فوفد عليه منهم جموع كثيرة"،[٣] اختلطت بسكان المدن المفتوحة، ولا شك أن ذلك سيترك بصماته وتأثيراته على عاداتها وتقاليدها وثقافتها.

---

(١)- صورة الأرض، ص.٩٠.

(٢)- الحلل الموشية، ص.٢٣.

(٣)- الحلل الموشية، ص.٣٣.

"إن دراسة أصول القبائل الصنهاجية التي استوطنت مدن المغرب الأقصى في القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر للميلاد، ليست قضية سهلة طالما ليس بين يدي الباحث إلا معلومات ضئيلة نادرة ذات صلة مباشرة، ولكن بدراسة ما يتوفر بين أيدينا من نصوص نجدها في الكتب العربية الوسيطية، يمكننا أن نتعرف على القبائل الصحراوية والأسر التي استقرت في مدن المغرب الأقصى كنتيجة لاتساع سيطرة المرابطين شمالا..."[١] وتعتبر معلوماتنا عن مدينة فاس وفيرة نسبيا إذا ما قارناها بالمدن الأخرى، فالمصادر العربية، ولا سيما كتب التراجم،[٢] تفيدنا بمعلومات مهمة عن الأسر الصنهاجية وكذلك العربية التي استوطنتها منذ تأسيسها، كبني دجانة من قبيلة لواتة البربرية التي دخلت المغرب من الحدود الشرقية مع الفاتحين العرب،[٣] وبني بكار بن راشد مولى إدريس الأول، وهم بيت علم، تولى بعضهم قضاء فاس في عهد الأدارسة.[٤] وبني المصمودي "بيتهم بيت علم وفقه وترف، ولهم زقاق بفاس يقال له مصمودة (بعدوة الأندلس) أنزلهم به الإمام إدريس لما قدموا عليه، وهم من مصمودة الغرب وليس من مصمودة السوس، وإنما هم من مصمودة التي قرب البصرة"،[٥] وبني يسكر الكنانيين، وقد كان جدهم فارس عربي كناني وفد على إدريس الأول من المشرق فأسكنه فاس.[٦]

---

(١)- صباح إبراهيم الشيخلي، "حقائق جديدة عن الحركة المرابطية: إندفاع المرابطين إلى المغرب الأقصى"، **المؤرخ العربي**، ع.٢٧، س.١٢ (١٩٨٦)، ص.٩٣.

(٢)- ينظر مثلا: **بيوتات فاس الكبرى** لابن الأحمر / **جذوة الاقتباس** لابن القاضي...

(٣)- إسماعيل بن الأحمر، **بيوتات فاس الكبرى**، دار المنصور، الرباط، ١٩٧٢، ص.٣٥.

(٤)- إبن الأحمر، ص.٣٧-٣٨.

٣٠- إبن الأحمر، ص.٣٩.

٣١- إبن الأحمر، ص.٤١.

وبني القباب وهم أهل "فقه وعدالة وعلم وثروة"، جاؤوا إلى إدريس الثاني من الأندلس" وكانت ديارهم بالجيزيين من فاس الأندلس... وكان بعضهم يسكن بسويقة مغراوة".[١] وهناك بنو ياسين، "نسبة إلى جدهم عبد الله بن ياسين فقيه المرابطين".[٢] وبالرغم من أن المرابطين عملوا على التخلص من الزناتيين "الذين كانوا طغوا على أهل المغرب"، فقد بقيت منهم بعض الأسر بفاس كأسرة بني دبوس اليفرنية، التي كان لها زقاق يقال له عقبة بن دبوس، وكذلك أسرة بني حمد.[٣]

إذا كان الصنهاجيون قد استوطنوا فاس ومدن الشمال عموما، فلا شك أن بعضهم سيستقر بمدن الجنوب التي فتحها المرابطون"،[٤] والذين استعملوا العبيد السودان في توسعاتهم وجهادهم، وشكلوا منهم فرقة من فرق الجيش. فيوسف بن تاشفين بمجرد توليه السلطة اشترى حوالي ألفين منهم،كما اشترى جملة من العلوج من الأندلس،[٥] ولعل هذا من أهم أسباب وجودهم بالمدينة المغربية.

هذا دون أن ننسى دور السلطة في تمدن السكان وانفتاحهم على المؤثرات الحضارية خلال المرحلة التي يعالجها البحث. فإذا كان الرومان والبيزنطيون والوندال قد فشلوا في إدماج المجتمع المغربي في ثقافتهم وحضارتهم وفرض هويتهم إلا بنسبة ضئيلة، فإنه ومنذ الفتح الإسلامي أخذت المدن المغربية تتشكل وتأخذ معالمها الأساس في مسألة الهوية والمرجعية الثقافية والدينية والانتماء الحضاري، فقد

٣٢- إبن الأحمر، ص.٤٤.

٣٣- إبن الأحمر، ص.٢٦.

(٣)- إبن الأحمر، ص.٢٦.

(٤)- العبر، ج.VI، ص.٢٤١.

٣٦- إبن عذاري، ج.IV، ص.٢٣.

كان الفاتحون يتركون من يخلفهم في تعليم الناس مبادئ الإسلام واللغة العربية. ولما قامت الدويلات المستقلة بالمغرب بنت عدة قواعد ومدن مما شكل حافزا للقبائل المجاورة لاستيطانها والاستقرار بها، وتشجيعها لدخول طور الحضارة والتمدن، وانصهرت في كل أشكال الثقافة والفنون ... وهكذا بنى الأدارسة مدينة فاس وحولوها إلى مركز للعلم والأدب ونشر اللغة العربية حتى صارت كل القبائل البربرية القاطنة بالمنطقة تتكلم بها،[1] كما عملوا على نشر الإسلام في إطار تصورهم ودعوتهم الدينية. والشيء نفسه يمكن أن نسحبه على إمارات أو مدن أخرى، فقد قام صالح بن منصور- المعروف بالعبد الصالح- بنشر الإسلام في بني تمسمان (قبائل صنهاجة وغمارة الريفيتين) وقام بمواصلة المهمة من بعده أبناؤه. يقول البكري : "... ولم يزل صالح على السنة والجماعة والتمسك بمذهب مالك بن أنس رضي الله عنه، وكان صالح وابنه سعيد يصليان بالناس ويخطبان ويحفظان القرآن ..."،[2] وكذلك الشأن بالنسبة لبني مدرار الذين عملوا على نشر الإسلام على مذهب الخوارج الصفرية في سجلماسة والمناطق المجاورة لها ... إذن فلابد أن هذه المجهودات سيكون لها آثار إيجابية في جعل المدن المغربية وخاصة الحواضر الكبرى مراكز جذب للسكان بفعل حيويتها العلمية والثقافية ... وحتى الاقتصادية ، واعتبرت هذه المدن بوثقة لكل التفاعلات الحضارية، وقاطرة لتنمية المجتمع في شتى الأبعاد والمناحي.

ثم جاء التوحيد السياسي غير المسبوق للغرب الإسلامي، والذي قام به المرابطون، فامتزجت الحضارة المغربية بالأندلسية وتألق نجم الثقافة والفن بالمغرب،

---

(١)- الحميري، ص.٤٣٤.

(٢)- المسالك والممالك، ج.II، ص.٢٨١.

خاصة في المدن ذات الماضي المجيد مثل فاس،[١] وذلك بفعل تمهيد الأمراء اللمتونيين السبيل للعلماء الذين جاؤوا من الأندلس أو تم استدعاؤهم، والذين أحاطوهم بكل مظاهر الرعاية والتكريم ... وفي هذا السياق يقول المراكشي : "... وانقطع إلى أمير المسلمين (يوسف بن تاشفين) من الجزيرة من أهل كل علم فحوله، حتى أشبهت حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم ..."،[٢] مما يعني اهتمام الأمراء المرابطين بمختلف العلوم و المعارف وليس علم الفروع فقط ! وكل هذا من شأنه أن ينمي ويرفع المستوى الثقافي المتعدد الأبعاد، والذي لا ريب أنه سيترك بصمات إيجابية على المجتمع المغربي خلال هذه الفترة وما بعدها.

إذا كانت هذه بعض ملامح علاقات السلطة بالمجتمع بصفة عامة، وذلك ابتداء من الفتح الإسلامي إلى ق.٥هـ، فما هي علاقتها ببعض الفئات الاجتماعية بصفة خاصة ؟ وسواء كانت هذه الفئة من العامة أو من النخبة السياسية أو الاقتصادية أو الدينية.

• لقد أعلى الإسلام والحضارة الإسلامية من شأن العلم والعلماء، ولذلك احتلوا مكانة اجتماعية مرموقة، وكانوا الأكثر تأثيرا في حياة الناس. وكان الفقهاء بالدين صلة الوصل بين السلطة والمجتمع بفعل قوة نفوذهم والاحترام الذي يحظون به، فهم ورثة الأنبياء ومنارة يهتدي بها الخلق...

في المغرب الأقصى، ومنذ فترة مبكرة، وظفت السلطة الفقهاء الذين كانوا أحد أهم أركانها ومرتكزاتها. فقد كان الفاتحون كما مر الذكر يخلفون وراءهم من يفقه

- Terrasse, *Histoire du Maroc*, p.٢٥١-٢٥٢.٣٩

٤٠- المعجب، ص.١١٥.

الناس في الدين ويعلمهم أحكامه وتعاليمه، ومنهم من تحقق له تكوين كيان سياسي استطاع من خلاله نشر مبادئ الإسلام في السكان الذين انضووا تحت لوائه، كما هو الشأن بالنسبة لصالح بن منصور الحميري مؤسس إمارة نكور وذريته من بعده، والذين يؤمون بالناس ويخطبون فيهم ويفقهونهم وفق المذهب المالكي.[١] واعتمد الأدارسة عند قيام دولتهم على بعض الفقهاء، كمصعب بن عمير الأزدي الذي استوزره إدريس الثاني، وعامر بن محمد بن سعيد القيسي الذي ولاه القضاء "وكان رجلا صالحا ورعا فقيها سمع من مالك وسفيان الثوري وروى عنهما كثيرا، ثم خرج إلى الأندلس برسم الجهاد، ثم جاز إلى العدوة فوفد منها على إدريس فيمن وفد عليه من العرب.."[٢].

ربما كان للفوضى وكثرة الإضطرابات السياسية في العهد الزناتي دور في عدم بروز فقهاء كثر في المغرب، بل لقد أدى الظلم والطغيان الذي مارسه الزناتيون إلى رحيل بعضهم، نموذج ذلك الفقيه العلامة أبو عمران الفاسي الذي خرج من فاس لما لقيه من تعسف عمال مغراوة، واستقر بالقيروان ينشر علمه، ويوطد لمذهب مالك حتى أتت فرصة لقائه بزعيم قبائل صنهاجة يحيى بن إبراهيم الجدالي، والتي أسفرت عن تأسيس دولة المرابطين، فنعلم أن هذه الأخيرة قامت على أكتاف الفقهاء المالكيين انطلاقا من الجنوب، ابتداء من أبي عمران إلى وجاج بن زلو وعبد الله بن ياسين ثم أبي بكر المرادي الحضرمي الذي يعتبر نموذجا للعلاقة الإيجابية بين السلطة والفقيه، والذي ظل وفيا لخدمة الحركة المرابطية، واجتهد في إبراز معالم السياسة الشرعية التي ينبغي لأمراء صنهاجة إتباعها، وعمل على خلق تقاليد سياسية لديهم

٤١- البكري ،ج.II، ص.٢٨١.

٤٢- القرطاس، ص.٣٥.

وتبنيهم لما يتطلبه الملك من سلوك مناسب، وهو ما يبدو واضحا من خلال كتاب "الإشارة في تدبير الإمارة".

يكاد يكون كل الذين تطرقوا إلى العصر المرابطي قد أثاروا العلاقة القائمة بين الدولة والفقهاء، إما من منطلق أن الفقهاء استطاعوا السيطرة على السلطة وتوجيهها حسب منظورهم، وإما أن الدولة المرابطية هي التي وظفت الفقهاء وأعطتهم موقعا ومكانة متميزة، وذلك ارتباطا بطبيعة وظروف نشأتها وقيامها.

هناك من الدارسين من ذهب إلى أن الملثمين المعروفين بتمسكهم الشديد بالدين وجدوا ضالتهم في الفقهاء، وهناك من فسر سلطة الفقهاء أنها لم تكن سوى جنيا للثمار التي وعدوا بها من طرف الأمراء المرابطين، في حين ذكر البعض بأن جهل الملثمين باللغة العربية جعلهم يعتمدون على فقهاء متضلعين فيها.[1]

على أي، فإن المرابطين احتاجوا إلى سند ومرتكز شرعي يدعم حكمهم، فوجدوا الفقهاء خير وسيلة، فوظفوهم إلى جانب عناصر اجتماعية أخرى لخدمة أهداف سلطتهم، "غير أننا نعتقد أن المرابطين تجاوزوا هذه الظاهرة "العادية" ليجعلوا من الفقهاء ركنا أساسيا في سياستهم وركيزة يقوم عليها النظام، غير أن ذلك لم يكن على ما يبدو من منطلق مقتضيات السياسة عامة فقط، بل وكذلك من منطلق الحاجة الملحة لذلك، وهذه الحاجة برزت منذ الخطوات الأولى للحركة المرابطية. ثم هناك ما يدل على أنها زادت بعد أن استقرت الدولة ونظمت

٤٣- أنظر : إبراهيم القادري بوتشيش، **الحياة الإجتماعية في المغرب و الأندلس خلال عصر المرابطين**، أطروحة دكتوراه في التاريخ،كلية الآداب-مكناس، ١٩٩٠-١٩٩١، ج.I، ص.٢٢٨ / إبن حمادي، **الفقهاء..**،ج.II،ص.٥٦٧ وما بعدها.

هياكلها".[١] هكذا مارس الفقهاء نفوذا قويا وتأثيرا مهما في الحياة السياسية والإجتماعية والثقافية وغيرها عبر عدة أشكال، لعل من أهمها مؤسستا الشورى والقضاء.

سن زعماء المرابطين العمل بالشورى فكانوا لا يقطعون أمرا إلا بعد استشارة أهل الحل والعقد، فعبد الله بن ياسين لما استدعاه فقهاء سجلماسة "لتطهيرها" من بني خزر، استشار وجهاء المرابطين في طلبهم، وكذلك الشأن عند موته. وبقيت هذه السنة الحسنة جارية بعده، إذ أن يوسف بن تاشفين "كان يفضل الفقهاء ويعظم العلماء ويصرف الأمور إليهم ويأخذ فيها برأيهم ويقضي على نفسه بفتياهم"،[٢] بل "أجرى عليهم الأرزاق من بيت المال طول أيامه"،[٣] وهو ما جعلهم فئة ميسورة الحال.

في مجال القضاء، اجتهد الفقهاء في الإلتزام باستقلاليته ونزاهته، وتولاه علماء كبار كعياض ابن موسى بسبتة وموسى بن حماد بمراكش وإبن الملجوم بفاس وعبد الله بن إسماعيل بأغمات...كما أعطيت للقاضي صلاحيات واسعة وحرية في اتخاذ القرارات الملائمة، ومن ثم تمتعوا بهيبة كبيرة انعكست على منزلتهم الاجتماعية والسياسية.

احتل الفقهاء موقعا عظيما في دولة المرابطين، فقد كانوا هم مرشدوها وموجهوها الحقيقيون سياسيا ودينيا، وشكلوا فئة متميزة وذات وظيفة رئيسة في

٤٤- إبن حمادي، **الفقهاء...**،ج.II،ص.٥٨٨.

٤٥- **الحلل الموشية**،ص.٨٢.

٤٦- **القرطاس**،ص.١٧٣.

تثبيت الحكم وتحديد هويته، وذلك من خلال تعميم المذهب المالكي ومحاربة التصوف وعلم الكلام ... وعملوا على تكريس المبادئ الإسلامية في كل المجالات، سواء بالتأثير السياسي أو توجيه المجتمع والحفاظ عليه من الأفكار الضالة والمنحرفة ... وفعلا فقد أعطت مجهوداتهم ثمارها، إذ وجدنا مثلا أن كل الأمراء المرابطين عرفوا بالصلاح والورع والتدين.

عموما يمكن القول بأن علماء المالكية بالمغرب قد قبلوا الدور الذي أوكلتهم السلطة المرابطية القيام به، خاصة مع تطابق الهدف والرؤية الإصلاحية التي كانوا يرمون تحقيقها. فلا شك أن هؤلاء الفقهاء عايشوا الواقع المرير الممزق سياسيا والمشتت الأهواء دينيا، ومنهم من حاول الإصلاح وربما لم يسمع له نداء ولم يجد له قوة ولا حولا، كأبي عمران الفاسي وفقهاء سجلماسة ... وبالتالي وجدوا ضالتهم في المرابطين لإنقاذ البلاد وتوحيدها سياسيا في إطار التبعية والارتباط بالخلافة العباسية بالمشرق، ودينيا وفق المذهب المالكي السني.

• عزز الفتح الإسلامي ارتباط المغرب بالعالم الخارجي، وخاصة بالسودان والمشرق الإسلامي، وهو ما سينعكس إيجابا على حركة الرواج التجاري، وسيزيد من أهمية فئة التجار ومكانتهم الاجتماعية، وظهر ذلك جليا مع قيام إمارات جهوية حاولت بسط سيطرتها على مسالك تجارة القوافل، وبالمواكبة مع تنامي الروابط الاقتصادية والتجارية المغربية السودانية، وبنت هذه الإمارات مدنا وحواضر ستصبح في ظرف وجيز بمثابة مراكز وأسواق تجارية ذات إشعاع بعيد المدى، مما سينشط حركة التجارة والحرف أكثر من أي وقت مضى، وبالخصوص التجارة الصحراوية المرتبطة بسلع السودان من ذهب ورقيق وغيرهما، والتي راكم محترفوها أموالا ضخمة بنوا بها الدور الفخمة والقصور، "فالتجار الذين يولعون بالدخول

إلى بلاد السودان أرفه الناس وأكثرهم أموالا، لبعد طريقهم ومشقته، واعتراض المفازة الصعبة المخطرة بالخوف والعطش... فتجد سلع بلاد السودان قليلة لدينا، فتختص بالغلاء، وكذلك سلعنا لديهم. فتعظم بضائع التجار من تناقلها ويسرع إليهم الغنى والثروة من أجل ذلك. وكذلك المسافرون من بلادنا إلى المشرق لبعد الشقة أيضا. وأما المترددون في الأفق الواحد ما بين أمصاره وبلدانه ففائدتهم وأرباحهم تافهة لكثرة السلع وكثرة ناقليها".[1]

كان للوحدة السياسية والاستقرار الاقتصادي الذي شهده المغرب مع قيام المرابطين أبلغ الأثر في تزايد أهمية التجار، فقد سهلت لهم السلطة سبل التجارة بتأمين الطرق وإلغاء أو تخفيف الضرائب ... مما جعلهم يجنون أرباحا طائلة ساعدتهم على الانخراط في الحياة الاجتماعية والتأثير فيها. وبالمقابل استفادت السلطة منهم لتدعيم أسسها المادية التي ترتكز عليها.

لكن يبدو أن العلاقة الإيجابية بين السلطة والتجار لن تدوم على حالها، إذ سرعان ما يدفع تضخم السلطة وتنامي احتياجاتها إلى البحث عن مصادر مالية جديدة تساعدها على مواجهة المشاكل والصعوبات التي تعترضها،[2] وذلك ما يظهر أكثر عند طور ضعفها، حيث أن عدم قدرتها على السيطرة على البوادي والمناطق النائية يجعلها تركز تدخلها في المدن بفرض الضرائب القاسية المتنوعة والمراقبة الصارمة للسلع الواردة والصادرة من المدينة والمنافسة والاحتكار ... مما يعرقل مسيرة التجار ومبادراتهم التجارية، وقد يصابون بالإفلاس والبوار الاقتصادي، ومن ثم تتراجع مكانتهم الاجتماعية. ولهذا نبه صاحب "المقدمة" التاجر إلى امتلاك

---

(١)- المقدمة، ص.٣٦٨.

٤٨- المقدمة،ص.٢٥٥ وما بعدها.

الجاه لجلب المنافع وإبعاد المضار المحتملة، وأن يكون "مقداما على الحاكم"، ذلك لأن التجار الذين لا يملكون الجاه يصيرون إلى الفقر والعوز في الغالب، ولا تسرع لهم ثروة بفعل المنافسة أو المصادرة أو غيرهما.[١] وربما هذا ما يفسر أن موقف التجار من القوى الغازية لم يكن موقفا مبدئيا مبنيا على التأييد أو المعارضة، بل منفعيا مبنيا على المصالح الخاصة. فالجنوب - نموذج سجلماسة- تضرر كثيرا من سلطة المغراويين، وبالمقابل استفاد تجار مدن الشمال من التمركز التجاري في المنطقة رغم سلطة الحكم الجائر للزناتيين.[٢] ففاس مثلا، ورغم الظروف السياسية المتقلبة، فقد عرفت رخاء ورواجا تجاريا مكن المغراويين من بناء مجموعة من المدن والمنشآت.

من خلال كتب الرحلات نستخلص أن المدن المغربية خلال المرحلة المدروسة كانت تتمتع بنشاط تجاري قوي مما بوأ التجار موقعا اجتماعيا مرموقا، ومنحهم فرصة لعب دور مزدوج، فمن جهة يمثلون فئة الخاصة التي تقوم بوظيفة ما في إطار هرم السلطة، ومن جهة أخرى يشكلون الجهة المعارضة عندما تتناقض مصالحهم مع مصالح السلطة الحاكمة.[٣] وربما لهذا السبب كانت سلطة المرابطين على سجلماسة والمدن الجنوبية سهلة على العموم، والعكس بالنسبة لمدن الشمال التي كانت مقاومتها عنيفة كفاس وسبتة وطنجة ... فسكان مدينة سجلماسة استغاثوا بالمرابطين من تعسف وجور بني خزر مع العلم أن فئة التجار كانت تشكل القوة السياسية الأبرز، وما نزول المرابطين بمدينة أغمات إلا دليل على تأييد تجارها لحركتهم، خاصة وأنهم يشكلون فئة مهمة بها. لكن هذا الموقف عرف انقلابا جذريا

٤٩- إبن خلدون،ص.٣٦١ وما بعدها.

(٢)- بزاوي، المدن والتجارة..،ج.II، ص.٣٤٩.

(٣)- بزاوي، المدن والتجارة..،ج.II، ص.٣٤٨.

مع مدن الشمال، ففاس المدينة التجارية مثلا، اضطر المرابطون لفتحها ثلاث مرات مستعملين في ذلك شتى أنواع العنف والتدمير.[١]

• إذا كانت طبيعة السياسة المالية الصارمة والمرهقة تساهم في إفلاس التجار، فإنها تؤدي أيضا إلى تراجع مستوى معيشة السكان، وارتفاع مستوى خط الفقر والحاجة، خصوصا لدى الفئات الضعيفة والمهمشة من عامة المجتمع، والتي تزداد تهميشا ونبذا. وهو ما نلحظه حتى على مستوى الكتابة التاريخية، إذ أن العوام يكاد لا يكون لهم مكان في التاريخ ! وذلك بالنظر إلى أن المؤرخين المغاربة كتبوا مصنفاتهم انطلاقا من موقف رسمي، ومن ثم تبنوا رؤية سلبية عنهم، فمستوى العامة الاجتماعي والفكري المتدني يجعلهم لا يستحقون أي التفاتة في نظرهم، إلا عند الحديث عن هذا الطرف المحكوم التي يتمرد على السلطة كلما وجد إلى ذلك سبيلا، ولا يخضع إلا كرها، ولهذا لا يمكن أن نصنفه إلا في خانة الغوغاء والسفلة والعصاة والخارجين.[٢]

من الثورات المشهورة التي قادها وتبناها العامة نجد الثورة التي تزعمها ميسرة المدغري السقاء الملقب بالحقير، وذلك ضد عامل طنجة عمر بن عبد الله المرادي اعتبارا لأنه "أساء السيرة وتعدى في الصدقات والعشر وأراد تخميس البربر وزعم أنهم فيء المسلمين".[٣] لكن الصورة القاتمة للعامة لم تكن هي الحاضرة دائما، فبالمقابل قامت هذه الفئة بأدوار حاسمة في بعض المحطات والمحن التي مرت بها السلطة الحاكمة، وهو ما بدا جليا خلال ثورة الصقالبة على أمير نكور سعيد بن

٥٢- بزاوي، **المدن والتجارة..**،ج.II، ص.٣٤٩.

٥٣- بوتشيش، **تاريخ الغرب الإسلامي**،ص.٢٨-٣٠.

٥٤- إبن عذاري،ج.I،ص.٥١-٥٢.

صالح (٢٥٠-٣٠٥هـ)، والذين تمكنوا من محاصرته ولم يستطع أن يحاربهم إلا بمساعدة العامة والفتيان والنساء الذين هزموهم وأخرجوهم إلى قرية الصقالبة، حيث ظفر بهم الأمير سعيد بعد حرب شديدة.[١]

• بصفة عامة، فقد تعاملت السلطة المغربية مع أهل الذمة بنوع من التسامح والإعتراف والعدل، ولهذا فضلوا العيش تحت ظلالها على الهجرة إلى بلاد أخرى. وتشير المصادر التاريخية إلى أن اليهود استقروا في عدة مدن كفاس[٢] وسجلماسة[٣] وأغمات وريكة[٤] ... وكانوا يتمتعون بحرية التنقل وممارسة أنشطتهم اليومية كما توحي بذلك بعض المصادر العبرية كالعقود والمراسلات التجارية.[٥] بل إن المرابطين استدعوا بعض الشخصيات اليهودية للدخول في خدمتهم، كأبي الحسن مير بن قمنيل الذي تلقى تعليمه بمدينة إشبيلية مسقط رأسه، ثم تفقه في الشريعة اليهودية بعد رحيله إلى قرطبة، كما تعلم الطب عن أطباء مسلمين ويهود حتى أصبح بارعا مشهورا، ولهذا استدعاه يوسف بن تاشفين وقربه إليه، فخدمه كما خدم إبنه الأمير علي بن يوسف من بعده.[٦]

٥٥- البكري، **المسالك**،ج.II ،ص.٢٧٧.

٥٦- البكري،ج.II،ص.٢٩٩: "فاس بلد بلا ناس"، كناية عن كثرة اليهود بها / **القرطاس**، ص.٤٦.

٥٧- **الإستبصار**،ص.٢٠٢.

(٤)- الإدريسي،ج.I،ص.٢٣٥.

٥٩- حاييم الزعفراني، **ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب: تاريخ-ثقافة-دين**، ترجمة أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، دار قرطبة، البيضاء، ط.١،١٩٨٧، ص.١٣/ سعاد الكتبية، "البنية الإقتصادية لطوائف يهود المغرب الأقصى في العصر الوسيط"، **مجلة كلية الآداب- بني ملال**، ع.٣، ٢٠٠١، ص.٣٦.

٦٠- عصمت دندش، "أضواء على معاملة المرابطين لليهود"، **الأكاديمية**، ع.١٨، ٢٠٠١، ص.١٦٥-١٦٧.

أما النصارى فقد وجدوا كذلك في مدن عديدة كفاس[١] وبعض مدن تامسنا خاصة شالة التي أسلم أهلها على يد عقبة بن نافع ثم إرتدوا ثم أسلموا في عهد موسى بن نصير،[٢] وتلمسان[٣]... أضف إلى ذلك أسرى الحروب الأندلسية الذين تم نقلهم إلى المغرب[٤]، واستقروا في مكناس وسلا وغيرها.[٥] وقد اشترى يوسف بن تاشفين بعض العلوج المسيحيين لاستخدامهم في جيشه فرسانا يحرسونه،[٦] وكان هؤلاء الجند أحرارا في الغالب ولا يؤدون الجزية، عكس المعاهدين الذين تم تغريبهم من الأندلس إلى المغرب.[٧]

هكذا تزامن قيام سلطة المرابطين مع تزايد عدد المسيحيين بالمدن المغربية. وإذا كانت المصادر لا تسجل أي اصطدام مع الطوائف المسيحية، فإن هذا يعني أن عددهم كان ضئيلا، ولم يتكاثر إلا بعد حروب الملثمين بالأندلس، ثم جلب المرتزقة الروم للعمل في الجيش،[٨] وهذا ما يستلزم بناء كنائس لإقامة شعائرهم الدينية، لكن

٦١- الجزنائي، ص.٢٣/ **القرطاس**، ص.٤٦.

٦٢- الجزنائي، هامش المحقق، ص.١٣/ **القرطاس**، ص.٢٤.

٦٣- البكري، ج.II، ص.٢٥٩.

٦٤- إبن عذاري، ج.VI، ص.٧٢-٧٣.

٦٥- **الحلل الموشية**، ص.٩٠-٩١/ ويذكر مارمول أن عدد الأسرى المسيحيين في معركة الزلاقة وحدها بلغ حوالي عشرين ألفا... (ج.II، ص.٥٦).

٦٦- **الحلل الموشية**، ص.٢٥.

٦٧- أحمد طه، **مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين**، ص.١٦٨.

٦٨- بوتشيش، "مسألة بناء الكنائس بالمغرب الأقصى خلال عصر المرابطين (من منتصف القرن١١ إلى القرن ١٢م)". ضمن **الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى**، منشورات كلية الآداب-الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ٤٨، ص.٩٤.

رغم إشارة البكري إلى وجود "كنيسة معمورة" بمدينة تلمسان،[١] يعتقد أن المرابطين لم يسمحوا لحامياتهم العسكرية ببناء الكنائس لممارسة شعائرهم الدينية، للجواب على ذلك يطرح ذ. بوتشيش[٢] احتمالين : الأول يذهب إلى فرضية أن العناصر المسيحية في الجيش المرابطي تكون قد أسلمت اقتناعا أو تظاهرت بالإسلام حفاظا على مصالحها. والاحتمال الثاني الراجح هو تشدد الفقهاء المرابطين في مسألة بناء الكنائس لاعتقادهم أنها يمكن أن تفتن المغاربة المسلمين عن دينهم. إن قرار منع بناء الكنائس لا يعني أن المرابطين كانوا متعصبين وغير متسامحين، فهناك العديد من الوقائع التي تثبت تسامح الأمراء الصنهاجيين.[٣]

خلاصة القول، إن السلطة الحاكمة بالمغرب - خلال المرحلة التي يعالجها البحث - قد ساهمت في إحداث تحولات في الخريطة البشرية بالمدينة المغربية والمجال الذي هيمنت عليه بصفة أعم، كما أن تبلورها ونموها وتجذرها ساهم في تطور المدينة في أبعادها المختلفة، مما شجع الهجرة البدوية إليها، وساعد على تمدن السكان وانفتاحهم على المؤثرات الحضارية الخارجية خاصة في العصر المرابطي. أما علاقة السلطة بالفئات الاجتماعية، فتباينت حسب نوعية الجهاز الحاكم نفسه وطبيعة الفئة الاجتماعية، وكذلك حسب المرحلة التاريخية والوضعية العامة للبلاد.

٦٩- **المسالك والممالك**، ج.II، ص.٢٥٩.

(٢)- "مسألة بناء الكنائس.."، ص.٩٩-١١٠.

٧١- بوتشيش، **الحياة الإجتماعية في المغرب والأندلس خلال عصر المرابطين**، ج.II، ص.٤١٦ وما بعدها/ مسألة بناء الكنائس..، ص.١٠٠.

ثانيا : العلاقات الاقتصادية

*****

قامت السلطة في علاقتها الاقتصادية بالمدن بوظيفة مزدوجة، إذ لعبت دورا إيجابيا من خلال أخذها بعين الاعتبار البعد الاقتصادي في تخطيط المدينة وإمكانية ازدهارها اقتصاديا، ومن خلال تشييدها للمرافق والتجهيزات والأسواق، وتوطيد الأمن والإعفاءات الجبائية وتنظيم التجارة إلخ..، وهو ما يتيح إمكانية تنشيط الحركة التجارية وتدفق السلع الحرفية والفلاحية وتطور الصناعات والحرف، ومما ينعكس إيجابا على كل الشرائح الاجتماعية، بل ويدعم الأسس المادية التي تقوم عليها السلطة وتنمي مواردها ومداخيلها المالية. لكن بالمقابل فهناك أدوار سلبية تقوم بها السلطة، وتتمثل في الرفع من الضرائب والمغارم والمنافسة والمضايقة والإحتكار ... أضف إلى ذلك فالإضطرابات السياسية والعسكرية التي تنتج عن صراع سلطتين متخاصمتين أو حتى بين أطراف السلطة الواحدة، تترك آثارا وخيمة على اقتصاديات المدن عموما.

كانت السلطة في الغالب تختار موقع المدينة التي تريد تشييدها على الطرق التجارية أو قريبة منها، وهذا ما ينطبق على المدن الكبرى بالخصوص، والتي صمدت أمام عاديات الزمن، من مثل نكور التي شكلت نقطة مركزية في السواحل المتوسطية بفعل موقعها المتميز، كما كان لموقع سجلماسة دورا محوريا في قيامها بوظيفتها التجارية المشهودة خلال التاريخ الوسيط ، ومع مرور الزمن استطاعت فاس أن تربط بين محاور تجارة الشمال والجنوب، والشأن نفسه بالنسبة لمراكش.

هذا، وقد خضع اختيار الموضع لأهداف اقتصادية أيضا، فموضع قاعدة بني مدرار سمح بممارسة الأنشطة الفلاحية والرعوية، إذ كانت "لها بساتين وهي كثيرة النخل والأعناب وجميع الفواكه ... ومزارع كثيرة"[١] بسبب القرب من نهر زيز. ولم تغب الخلفية الاقتصادية عن غالبية المدن التي أنشأها الأدارسة، فالبصرة مثلا عرفت بخصوبة تربتها ووفرة مياهها وسعة مراعيها وكثرة مواشيها وأشجارها المثمرة،[٢] وتامدولت بنيت على مقربة من مناجم الفضة،[٣] فضلا عن فاس التي جمعت "كمال المدن وشرفها".[٤]

عملت السلطة أيضا على تزويد المدن التي كانت تحكمها بالعديد من المرافق الاقتصادية التي تحتضن الأنشطة التجارية والصناعية أو التي تخدمها كالفنادق مثلا. وهكذا وجدنا مدينة فاس أنموذجا لتنوع وكثرة الأسواق، إذ منذ ولادتها شيدت بها قسارية في كلتا عدوتيها،[٥] كما بنيت بها الفنادق والأسواق،[٦] بل إنها

٧٢- **الإستبصار**، ص.٢٠١/ وينظر كذلك إبن حوقل،ص.٩٠ والبكري،ج.II، ص.٣٣٢-٣٣٣ والإدريسي، ج.II، ص.٢٢٥-٢٢٦.

٧٣- المقدسي، ص.٢٣٠/ الإصطخري، ص.٥٠/ البكري،ج.II ، ص.٢٩٣/ إبن عذاري، ج.I، ص.١٠٣.

- Voir : B.Rosenberger, Tamdult.., p.١٠٥-١٠٧.٧٤

٧٥- **القرطاس**، ص.٤٠.

٧٦- **القرطاس**، ص.٥٢.

٧٧- **القرطاس**، ص.٥٥ ، وتميز عهد الأمير يحيى بن محمد بن إدريس بكثرة العمارة، كما بنى الفنادق للتجار، مما سيحرك التبادلات التجارية، وسيجعل الناس يقصدونها (**القرطاس**، ص.٦٧-٦٨/ الجزنائي،ص.٢٦)، وكذلك الشأن في العصر الزناتي (**القرطاس**، ص.٥٧) رغم بعض الإضطرابات التي تميز بها هذا العصر خاصة قبيل مجيء المرابطين.

ستبلغ ذروتها في الرفاهية الاقتصادية والعمرانية ... فيما بعد، فلقد فاق عدد فنادقها أربعمائة وستون فندقا،[١] زد على ذلك المرافق التجارية والحرفية المتنوعة من حوانيت وترابيع ومصانع ... والتي تجاوزت المئات والآلاف ![٢]

هذا الاهتمام بتجهيز الحواضر بما تتطلبه الحياة الاقتصادية، يمكن سحبه على باقي المدن الأخرى، فسجلماسة لما أتم اليسع بناءها "اختط بها المصانع"[٣]. ولما دخل يوسف بن تاشفين مدينة فاس "أصلح أسواقها وهذب بناءها".[٤] كما نظم الحكام المرافق الاقتصادية داخل المدينة المغربية، وفق مبادئ عامة تحكم طبيعتها وتوزيعها المجالي وتدخل كلها في إطار القاعدة الشرعية الكلية "لا ضرر ولا ضرار"،[٥] والتي ظلت سمة بارزة توجه علاقة الأسواق فيما بينها، ثم علاقتها بباقي المرافق الحضرية، وتساعدها على القيام بوظيفتها في أفضل صورة، وبالتالي ازدهار الرواج التجاري والاقتصادي، مما ينعكس إيجابا على فئات اجتماعية عريضة.

في سياق الكلام عن الشق الإيجابي في سياسة السلطة الاقتصادية، يمكن الإشارة إلى اجتهادها في تحقيق الأمن والإعفاءات الضريبية وسك العملة وتحديد المكاييل والأوزان وتنظيم الأسواق من خلال الحسبة وغيرها.

٧٨- **القرطاس**، ص.٥٨/ الجزنائي، ص.٤٤.

٧٩- ينظر: إدريس الشنوفي، **النشاط التجاري لمدينة فاس في العصر المريني**، جدول ص.٣٨.

٨٠- **العبر**، ج.VI، ص.١٧٢.

٨١- **القرطاس**، ص.١٧٩.

٨٢- ينظر المبحث الثاني من الفصل الأول عند الحديث عن التخطيط العمراني للمدينة المغربية.

مما لا جدال فيه أن توطيد الأمن والاستقرار وحراسة الطرق يعد سندا جوهريا لتطوير النشاط الاقتصادي وتسريع وتيرة المبادلات التجارية، وكذلك استفادة التجار الذين يتزايد موقعهم أهمية داخل الهرم الاجتماعي، واستفادة السلطة الحاكمة التي لم تتوان في الضرب على أيدي قطاع الطرق العابثين بأرواح الناس وممتلكاتهم. يروي صاحب القرطاس[1] أنه كان بموضع فاس بالقرب من إحدى العيون عبد أسود إسمه علون "يقطع الطريق، وكان الناس قبل بناء المدينة يتحاشونها ولا يمرون بتلك الناحية ولا يقدر أحد على سلوكها من أجل علون المذكور ... فعرف إدريس رضي الله عنه بخبر علون حيث شرع في بناء عدوة القرويين، فأمر بالقبض عليه، فخرجت الخيل في طلبه، فقبض عليه وأتي به إليه فأمر بقتله وصلبه هناك على شجرة كانت على رأس العين المذكورة، فبقي علون مصلوبا ... حتى تمزقت أشلاؤه وتقطعت أوصاله، فسميت العين به إلى الآن". ومن المعاني التي فسر بها إسم مراكش هو مر مسرعا، لأن موضعها قبل اختطاطها من طرف المرابطين كان "مكمنا للصوص، فكان المارون فيه يقولون لرفقائهم تلك الكلمة"،[2] فقضى يوسف بن تاشفين على ظاهرة اللصوصية ووحد البلاد وفرض فيها الأمن والإستقرار والهدوء، ولهذا عاشت المدينة المغربية رفاهية وازدهارا اقتصاديا غير سابق، خاصة مع تقيد الحكم بحدود الشرع في استخلاص الواجبات المالية، وهو ما يحصل في البدايات الأولى لقيام الدولة باعتبار تقلص احتياجاتها وتوفر الموارد المالية الكافية.

من صور تحكم السلطة الإيجابي في الأسواق وتنظيمها ومراقبتها نجد مؤسسة الحسبة، والتي تهم في الغالب أمر الأسواق والتجارة والحرف ... وعدم ذكرها في

٨٣- إبن أبي زرع، ص.٤٧-٤٨.

(٢)- **الإستقصا**، ج.II، ص.١٩١.

المصادر بصفة واضحة[١] لا يعني التحفظ على وجودها بالمغرب كما ذهب إلى ذلك هوبكنز.[٢] فلا يعقل ألا يتأثر هذا الأخير بالنظم السائدة بالأندلس والتي من ضمنها نظام الحسبة، هذا مع الوحدة السياسية للعدوتين في العصر المرابطي خاصة، ثم إن مختلف الأنظمة الحاكمة اعتمدت في تدبير شؤون الحكم على الشرعية الدينية، التي من أهم مبادئها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مما يدفع إلى الاعتقاد بوجود الحسبة بمفهومها الخاص، وربما لم تكن ظاهرة المعالم بسبب البساطة التي تميزت بها المدينة المغربية إذا ما قارناها بمثيلاتها الأندلسية التي شهدت في المرحلة نفسها بالموازاة تجذرا حضاريا ولما لا تعقدا في العلاقات والمعاملات، ووجود كتابات معاصرة بقيت شاهدة على ذلك.

بالإضافة إلى ما سبق، فكما يعتبر سك العملة شارة من شارات الملك فإنه يعد آلية من آليات القيام بوظيفة المبادلات والمعاملات التجارية وانتعاشها، ولذلك لم تتوان الأجهزة الحاكمة في تنويع أماكن ضرب النقود. وهذا ما تميز به الأدارسة مثلا، فقد كثرت وتعددت دور السكة في عهدهم مثل تلمسان والبصرة وتهليط وأصيلة وطنجة وأزقور و وليلي[٣] وأغمات ومريرة...[٤] زيادة على فاس المركز الأساس. وفي دولة الخوارج الصفرية، يشير البكري إلى أن محمد بن الفتح تلقب بالشاكر لله وقام بضرب الدراهم والدنانير الشاكرية،[٥] ويذكر أيضا أن أهل نكور "دراهمهم عدد

---

٨٥ - يذكر إبن أبي زرع مثلا أن يوسف بن تاشفين لما دخل فاسا "أصلح أسواقها" (**القرطاس**، ص.١٧٩)

٨٦ - **النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى**، ص.١٧٧.

٨٧ - D. Eustache, Dirhams Idrisites.., p.١٨٣.

٨٨ - M. Garcia , Idrissisme et villes Idrissides.., p.٢٣

(٥)- **المسالك والممالك**، ج.II، ص.٣٣٦.

بلا وزن"،[١] مما يعني وجود دار لسك النقود. واستفاد المرابطون من عائدات التجارة الصحراوية وتدفق ذهب السودان فضربوا كميات ضخمة من الدنانير الذهبية ابتداء من أبي بكر بن عمر، وذلك عام ٤٥٠ هـ/ ١٠٥٨-١٠٥٩م بسجلماسة باسم الخليفة العباسي، ثم سرى السك في مدن أخرى مثل مراكش ونول لمطة وأغمات وفاس وسبتة وسلا...[٢] واتخذت النقود المرابطية شهرة كبرى لنوعيتها وقيمتها التجارية.

إن الإجراءات التي ذكرنا سالفا من شأنها أن تنعكس إيجابا على المدن المغربية من خلال تطور الأسواق كما ونوعا وتدفق السلع وازدهار الفلاحة والحرف والمبادلات التجارية، ومن شأنها أيضا أن تقوي الموارد والمرتكزات المادية للسلطة.

بقيام سلطة المدراريين أصبحت سجلماسة تمثل مركزا تجاريا رئيسا للمغرب، الأمر الذي رافقه نمو ديموغرافي وتقدم عمراني، ومما أسهم في بروز وتطور أنواع من الحرف، من أهمها صناعة النسيج المعتمد على صوف الماشية وزراعة القطن، وصناعة البناء التي ازدهرت حتى أن أبنية قاعدة بني مدرار حاكت أبنية الكوفة بأبوابها الرفيعة على قصورها بفعل غنى وسعة حال أهلها،[٣] والذين "من الغرائب عندهم أن الذهب جزاف عدد بلا وزن"،[٤] مما يوحي بأن صناعة الذهب أيضا عرفت ازدهارا كبيرا بالمدينة التي اعتبرت باب المغرب على بلاد التبر.

٩٠- المسالك، ج.II ، ص.٢٧٤.

٩١ - D. Eustache, les Ateliers monétaire du Maroc, *Hespéris Tamuda*, Vol. XI, fascicule unique, ١٩٧٠, p.٩٦-١٠٠.

٩٢- إبن حوقل، ص.٩٠.

٩٣- البكري، ج.II، ص.٣٣٧.

استقطبت سجلماسة التجار من الداخل والخارج باعتبار جاذبيتها واحتضانها لحركة تجارة دؤوبة ورائجة، والتي جعلت سائر أرباب المدن دون أهلها في اليسار والمظهر والمخبر.[١] كما وفرت مصادر مالية للخزينة المدرارية بفعل الضرائب التي تفرض على ما يباع و يشترى أو ما يصدر ويستورد، الشيء الذي سيدعم لا محالة القوة السياسية والعسكرية للإمامة الصفرية.

شهدت نكور بدورها نموا اقتصاديا ملحوظا في ظل حكم بني صالح، وتميزت بكثرة أسواقها العامرة وتعدد مراسيها[٢] التي وصلتها بتجارة متوسطية رائدة، إذ في هذا السياق يؤكد البكري أنها كانت تهيمن على أغلب الموانئ التي تربطها بالمبادلات البحرية من ذلك مرسى ملوية وهرك وكرط والدار وأوفنيس ووادي البقر والمزمة وغيرها،[٣] والتي جعلتها تمتن علاقتها الاقتصادية مع الأندلس مع انفتاحها على التجارة الصحراوية، خاصة في أوج قوتها وتوسعها الذي دام أكثر من قرن من الزمن، قبل أن يلحقها تخريب موسى بن أبي العافية ثم إجهاز المرابطين عليها، والذي شتت شملها.

شجع الأدارسة الزراعة مما سيساهم في تطور الصناعات الاستهلاكية والغذائية، وبالرغم من علاقتهم العدائية مع الكيانات السياسية المعاصرة لهم فإن الصلة التجارية بقيت قائمة معها، بل مع المشرق وبلاد السودان أيضا، رغم أن المصادر تكاد لا تفصح عنها. وعلى أي، فكما سيدفع الاستقرار السياسي والأمني في

---

٩٤ - إبن حوقل، ص.٩٠.

(٢)- البكري، ج.II، ص.٢٧٣-٢٧٤.

٩٦- **المسالك والممالك**، ج.II، ص.٢٧٣.

اتجاه تحسين مستوى التجارة الخارجية والداخلية، فإنه سيسرع من وتيرة تنامي ظاهرة الأسواق، وهو ما يمكن أن نستشفه من خلال كتب الرحلات.[١]

اكتسب الملثمون خبرة تجارية أثناء المرحلة الصحراوية، ولهذا شجعوا التجارة واستثمروا إنجازات من سبقهم ودشنوا عهدهم بوضع الأثقال الجبائية عن كاهل التجار ... مما زاد من تنشيط المبادلات التجارية بصورة لافتة وغير مسبوقة، وشعر الناس بنوع من التحسن المادي في حياتهم، وحصلوا أرزاقهم في أمن وسلام. كما وفر المرابطون أموالا طائلة استخدموها في تسديد رواتب الموظفين من العمال والجيش والقضاة وغيرهم، ووزعوا بعضها على الوجهاء والزعماء وذوي القربى.[٢] فهم حينما أسسوا مراكش مثلا، لم يكن هدفهم نقل "مجتمع زراعي مستقر إلى مجتمع صناعي يسعى إلى احتراف التجارة، ولم يكن الهدف مجرد إنشاء سوق داخلي عابر، بل ترسيخ مركز له سلطة بإمارته وجيشه وصناعته واستراتيجيته".[٣] وهكذا ستتطور بها صناعات عدة مثل صناعة النسيج الصوفي والكتاني والخيط والتعدين وغيرها،[٤] و ستظهر بها أسواق متخصصة في بيع سلعة محددة كسوق الدخان

٩٧- مثلا يشير البكري حين وصفه للمدن المغربية والطرق الرابطة بها إلى العديد من الأسواق "العامرة" و"المفيدة" و"النافقة"... منها على سبيل المثال: سوق يعقد كل ثلاثاء ببني مغراوات (ج.II، ص.٢٩٠) وآخر موسمي بأصيلة (ج.II، ص.٢٩٥) كما وصفت مدينة بجاجين بأنها مدينة مفيدة بها أسواق.. (ج.II، ص.٢٩٧) وسوق الأحد بفاس (ج.II، ص.٣٠٠)..

٩٨- يروي إبن أبي عذاري أن يوسف بن تاشفين مثلا قد أجرى على الفقهاء والعلماء والصلحاء الأرزاق من بيت المال طول أيامه (القرطاس، ص.١٧٣) كما يذكر عنه صاحب "الحلل" (ص.٢٦) أنه وصل من جاء مع أبي بكر خلال عودته من الصحراء، كل على قدر منزلته، وأمر لهم بالكسوة والخيل والعبيد...

(٣)- أبو العزم، "معالم المدينة الإسلامية"، ص.٦٥.

(٤)- الحلل الموشية، ص.٢٧.

والصابون والصفر والمغازل.[١] وستروج تجارة بعض المواد النادرة مثل العود والمسك والعنبر والند.[٢]

نستخلص أن السلطة السياسية تتخذ إجراءات متنوعة لخدمة اقتصاديات المدن الخاضعة لها، وبالمقابل فإن الأهمية الاقتصادية للمدينة تقوم بوظيفة أساس في الفعل السياسي، إذ تمنح النظام الحاكم قوة مادية يستطيع بواسطتها تدبير شؤونه وسك النقود وتجهيز الجيوش ومواجهة المنافسين.

لم تكن السياسة المالية للسلطة دائما على ما يرام، ففي بداية أمرها على الأقل تعتمد الدولة على المغارم الشرعية ليس إلا، بالنظر إلى أن قيامها أصلا هو عبارة عن دعوة إصلاحية تنادي برفع الظلم والجور، الذي من أهم أشكاله الضرائب غير المنصوص عليها في الكتاب والسنة. لكن شعار الإصلاح سرعان ما يذهب تدريجيا أدراج الرياح كلما توسعت الحملات العسكرية وتزايدت نفقاتها واحتياجاتها التي تتنوع وتتضخم باستمرار. ثم أن ضمور أثر البداوة وخشونة العيش وتحضر أهل السلطة الحاكمة تدريجيا وتخلقهم بخلق التحذلق وانغماسهم في النعيم والترف... كل هذا يجعلهم "يزيدون في كل وظيفة ووزيعة مقدارا عظيما لتكثر لهم الجباية ويضعون المكوس على المبايعات وفي الأبواب ... ثم تتدرج الزيادات بسببه، حتى تثقل المغارم على الرعايا ... ثم تزيد إلى الخروج عن الاعتدال، فتذهب غبطة الرعايا في الإعمار لذهاب الأمل من نفوسهم بقلة النفع".[٣]

١٠١- الإدريسي، ج.II، ص.٣٣٥.

١٠٢- **الحلل الموشية**، ص.٢٨.

١٠٣- **المقدمة**، ص.٢٥٦.

بفعل التدبير والترف تتزايد حاجة السلطة المالية، وأمام ضعفها -- عن "جباية الأموال من الأعمال القاصية" خاصة عند هرمها، فإنها تركز نهمها الضريبي على المدن وأسواقها، وتزاحم التجار في تجارتهم، بل يمكن أن تنتزعها منهم.[١] وهنا لا نحتاج التأكيد على العلاقة الجدلية والعضوية بين حجم الضرائب المفروضة وطبيعة التطور الاقتصادي بالمدن. فإبن خلدون أكد على أن الاكتفاء بالضرائب الشرعية يؤدي حتما إلى نمو وحركية إيجابية في عملية الإنتاج، وبالعكس فإن الرفع من الضرائب غير الشرعية على السكان يدفع بتدهور عملية الإنتاج وكساد الأسواق وبالتالي اختلال العمران.[٢]

لا شك أن سياسة الخلافة الأموية والعديد من ولاتها بالمغرب قد تميزوا عموما بالشدة والجشع والظلم في استخلاص الضرائب، فلم يقتصر بعض العمال على ما جمعوه وأرسلوه إلى خلفاء دمشق من غنائم وسبي وهدايا، بل أضافوا تخميس البربر وكأنهم مازالوا على دين الكفر، وكنموذج، فإن "عمر بن عبد الله المرادي، عامل طنجة وما والاها، أساء السيرة وتعدى في الصدقات والعشر، وأراد تخميس البربر، وزعم أنهم فيء المسلمين، وذلك ما لم يرتكبه عامل من قبله. وإنما كان الولاة يخمسون من لم يجب للإسلام. فكان عمله الذميم هذا سببا لنقض البلاد ووقوع الفتن العظيمة المؤدية إلى كثير القتل في العباد".[٣]

حينما بسط الفاطميون نفوذهم على أجزاء مهمة من المغرب الأقصى عملوا على توطيد الأمن والاستقرار، فشهدت مدنه نشاطا تجاريا ملحوظا، وهو ما سيستفيد

١٠٤- **المقدمة، ص.٢٥٦-٢٥٧.**

١٠٥- **المقدمة، ص.٢٥٧.**

١٠٦- إبن عذاري، ج.I، ص.٥١-٥٢.

منه العبيديون لتوفير موارد مالية لخزينتهم، "فقد كان والي مدينة سجلماسة، المركز التجاري المهم ... يأخذ الضرائب من التجارات الداخلية والخارجية ... كما فرضت الضرائب على القوافل التجارية التي تعمل في التجارة إلى بلاد السودان، والظاهر أن القوافل المختصة بالتجارة السودانية كانت تفرض عليها لوازم ليس في مدينة سجلماسة فقط".[١] وإذا ما أمعنا النظر في النظم المالية لدول المغرب الوسيط نستنتج " أن النظام المالي الفاطمي أتقن إحكاما، وأكثر دقة، وبالتالي أشد وطأة على السكان.."،[٢] بل إن حملاتهم العسكرية على مختلف الجهات والمناطق المغربية ساهمت فيها الأهداف الاقتصادية بشكل كبير، ولهذا- وعلى العكس من التدخلات الأموية- فقد تميزت تدخلاتهم بالشدة والقسوة في انتهاب الأموال والسبي ... وهو ما يبدو واضحا من خلال دخول مصالة بن حبوس قائد عبيد الله الشيعي إلى مدينة نكور، حيث قتل أميرها سعيد بن صالح وانتهبها، بل سبى نساءها وذريتها ثم انصرف إلى تاهرت،[٣] وذلك في سنة ٣٠٥هـ، كما نهب أموال سكان سجلماسة لما غزاها سنة ٣٠٩هـ.[٤] إن سياسة الاعتداء على أموال التجار وممتلكات الناس ظلت صفة لصيقة بالفاطميين، ليس في المدن المغربية فحسب، بل في كل المدن التي مروا بها. مما دفع أهلها إلى التذمر والإنتفاض ضدهم، فكان ذلك من العوامل التي سرعت رحيلهم إلى مصر.

١- الشيخلي، "النشاط التجاري في بلاد المغرب.."، ص.٦١.

٢- الحبيب الجنحاني، **دراسات في التاريخ الإقتصادي والإجتماعي للمغرب الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط.٢، ١٩٨٦، ص.٥٩.

١٠٩- إبن عذاري،ج.I، ص.١٧٥.

١١٠- إبن عذاري،ج.I، ص.١٨٥.

نتج عن الصراع الفاطمي الأموي تراجع الكيانات السياسية التي كانت تتقاسم المجال المغربي آنذاك، وسيطرة الزناتيين على أهم المدن التجارية (فاس، أغمات، سجلماسة...) ففرضوا سياسة مالية صارمة ونوعوا من الضرائب غير الشرعية على السكان كالمكوس والمعونات والقبالات وغيرها،[1] بل إنهم فتنوا الناس في دينهم ودنياهم، إذ صادروا أموالهم وأكلوها بالباطل وضيقوا عليهم حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ! ولهذا استنجد أهل سجلماسة وتجارها وفقهاؤها بعبد الله بن ياسين لما لم يجدوا من ذلك بدا. ويروى أنه أثناء ضعف أحوال مغراوة فاس جاروا على رعيتهم بعد عدل وأمن ورخاء ... فكانوا يهجمون على الناس في بيوتهم ودورهم ويأخذون أموال التجار بغير حق، بل يتعرضون للنساء والأطفال، ولم تجد مختلف الفئات الاجتماعية حيلة ولا سبيلا لإيقاف جرمهم، "فانقطعت عنهم الموارد وكثر الخوف في البلاد وغلت الأسعار، وتبدل الرخاء بالشدة والأمن بالخوف والعدل بالجور، وتوالى منهم ظلم وعدوان على رعيتهم، وغلاء مفرط لم يسمع بمثله وفتنة شديدة، فاتصل الجوع والغلاء، وعدمت الأقوات في مدينة فاس وأعمالها أيام الفتوح بن دوناس وأيام إبن عمه معنصر وأيام والده تميم بن معنصر إلى أن بلغ الدقيق ... أوقية بدرهم. وعدمت الأقوات فيها بالكلية، فكان رؤساء مغراوة وبني يفرن يدخلون على الناس في ديارهم ... وكان سفهاؤهم وعبيدهم يصعدون على جبل العرض فينظرون إلى الديار التي بالمدينة، فأي دار رأوا فيها دخانا قصدوا إليها فدخلوها وأخذوا ما يجدون من الطعام ... فاتخذ أهل فاس المطامير في بيوتهم وديارهم للخزن والطبيخ ليلا يسمع ذوي الرحى، وفيها أيضا اتخذوا غرفا لا أدراج

---

[1]- العبر،ج.VI، ص.٢٢٤ / حسن أحمد محمود، **قيام دولة المرابطين**، دار الفكر العربي، القاهرة، ص.٢١٤.

لها، إذا عشي النهار طلع الرجل فيها بسلم هو وعياله وأولاده، ثم رفع السلم معه ليلا يدخل عليه فجأة..".[١]

لما اكتسح جيش المرابطين بلاد السوس، وفتح أبو بكر بن عمر قاعدة تارودانت "قتل بها من الروافد خلقا كثيرا وأخذ أموال من قتل منهم".[٢] و لئن كان أمراء لمتونة في أوائل عهدهم قد سنوا سياسة مالية شرعية باقتصارهم على أخذ الزكوات والأعشار والجزية التي هي من الواجبات الدينية، فإنهم سرعان ما أثقلوا كاهل المجتمع الحضري المغربي بكثرة وتنوع الضرائب غير الشرعية، حيث فرضوا القبالة على كل شيء دق أو جل[٣]، "وكانت أكثر الصنع ... متقبلة، عليها مال لازم مثل سوق الدخان والصابون والصفر والمغازل"،[٤] بل تجاوز الأمر ذلك إلى فرض "قبالة الرحاب والقبالة على شراء الأضحية والقبالة على الأكرية".[٥]

من خلال ما سبق، نؤكد أن العلاقة الاقتصادية بين السلطة والمدينة المغربية اتخذت وجهين: فحينما تظهر سلطة جديدة قوية وقادرة، تفرض الأمن وتحقق الاستقرار وتشيد المرافق والتجهيزات... وبفعل رفعها لشعار الإصلاح وقلة احتياجاتها المالية تقتصر في جباياتها على ما أوجبه الشرع، مما يسمح للناس بالعمل والإنتاج، وبالتالي تنشط الحركة التجارية وتزدهر معها الأنشطة الحرفية والفلاحية المرتبطة بها، فيسعد المجتمع بالرخاء وتغنم السلطة بالأموال. لكن بالمقابل فكلما

١١٢- **القرطاس**، ص.١٤٣-١٤٤.

١١٣- **القرطاس**، ص.١٦٣.

١١٤- الإدريسي، ج.I، ص.٢٣٥.

١١٥- الإدريسي، ج.I، ص.٢٣٥.

١١٦- حسن حافظي، "الجباية على عهد يوسف بن تاشفين"، ص.٣٣٥.

تجذرت أجهزة النظام الحاكم وتوسعت مجالات هيمنته وتحركاته العسكرية وتنوعت اهتماماته وتزايدت حاجياته، كلما ارتفعت الضرائب وتنوعت لتحقيق المراد، فتثقل كاهل رجال الاقتصاد، مما يؤدي إلى عجزهم عن الكد والعمل فتبور الأسواق وتكسد التجارات وغيرها، و هو ما ينذر باختلال أوضاع السلطة والمدينة.

obeikandl.com

المبحث الثاني: السلطة والدين: تفاعلات النظر والواقع

أشرنا سالفا أن الدين والدعوة الدينية من بين أهم ما استندت عليه السلطة في تدبيرها السياسي للمدينة، رغم التباين الحاصل في الرؤية الدينية بين هاته السلطة وتلك، إذ أن انتشار الإسلام منذ الفتح لا يعني أن مبادئه كانت مطبقة بشكل موحد ووفق رؤية موحدة . وذلك إما بسبب الإختلاف المرجعي والمذهبي وتأثيرات الأحداث التاريخية، أو بفعل امتزاج العادات المحلية والتأثيرات الدينية القديمة وغيرها.

فقد تميزت المرحلة التي تلت الفتح الإسلامي للمغرب بتعدد ديني مذهبي، وهكذا سنجد أن إمارة نكور تبنت المذهب السني المالكي، واعتمدت إمارة بني مدرار في حكمها المذهب الخارجي الصفري، واعتبر الأدارسة شيعة لكنهم وظفوا علماء مالكيين وأعلنوا احترامهم لإمام دار الهجرة. أما بورغواطة فابتدعوا مذهبا تلفيقيا خلطوا من خلاله بين بعض مبادئ الدين الإسلامي و"اجتهادات" بعض متنبئيهم وحكامهم.

جاء المرابطون فعملوا على تحقيق الوحدة السياسية والمذهبية في إطار تثبيت المذهب المالكي السلفي، وحاربوا التصوف والعقيدة الأشعرية والمذاهب المنحرفة. وبقيت أصداء هذه الحرب مسطرة في سجل التاريخ، والتي من أبرزها ما عرف بمسألة "إحراق الإحياء" ثم الصراع بين التيار المالكي السلفي ونظيره الأشعري

داخل علماء المرابطين، مما أحدث شرخا عميقا في بنيانهم وسرع بالإطاحة بسلطتهم وهي في ريعان الشبان.

obeikandl.com

أولا : السلطة والمذهب : من التعدد إلى التوحيد

*****

"المذهب في الأصل مفعل من الذهاب، وهو لغة : الطريق ومكان الذهاب، يقال : ذهب القوم مذاهب شتى أي : ساروا في طرائق مختلفة".[١] وعلى المستوى التاريخي ساهمت عوامل وأحداث في بلورة مذاهب عقدية وفقهية وسياسية بالعالم الإسلامي، والتي انتقل صداها إلى المغرب. فمع الفتح الإسلامي انتشرت بهذا الأخير مذاهب فقهية دعوية، ثم مذاهب فكرية سياسية مناوئة للخلافة بالمشرق، والتي من أبرزها فرقة الخوارج التي أشعلت نار الثورات ضد سلوك ولاة بني أمية، وانتقلت من الطابع الاجتماعي إلى طابعها السياسي بنجاحها في تأسيس إمارة سجلماسة وتامسنا. ثم تمكنت الدعوة الشيعية من إيجاد موقع لها ضمن الخريطة المذهبية للمغرب مع الأدارسة والبجليين والفاطميين، قبل أن يتمكن المرابطون من فرض وتعميم المذهب المالكي السني بالقوة، بعدما كان محصورا في مناطق ورباطات...

• تعد إمارة نكور أول إمارة إسلامية بالمغرب، والتي تبنت المذهب المالكي وعملت على نشره. فقد أوصى الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك واليه على إفريقية والمغرب موسى بن نصير بأن لا يتعرض لصالح بن منصور ولا يتدخل في شؤون

١١٧- عمر الجيدي، **مباحث في المذهب المالكي بالمغرب**، مطبعة المعارف الجديدة والهلال العربية للطباعة والنشر، الرباط، ط.١، ١٩٩٣، ص.٩.

إمارته، "لعدله ويتركه على رأيه".[١] وذلك نظرا لتبني مذهب أهل السنة والجماعة سواء في عهده أو في عهد خلفائه، فهذا صالح بن سعيد خامس الأمراء "تقبل مذهب سلفه في الإستقامة والإقتداء".[٢] وبقي آل صالح متمسكون بالمذهب السني المالكي[٣] رغم ثورات الخوارج الذين حاولوا اكتساح المغرب بفكرهم، ثم المد الشيعي الفاطمي.

بل إن هذه الإمارة الصغيرة المساحة ربما قد تكون سببا في تصدير مذهب مالك إلى الأندلس ووضع حد للعمل بمذهب الأوزاعي، وهو ما قد يتجلى من خلال مجموعة من العلماء الذين نسبوا إلى موطن هجرتهم بالأندلس، فهذا يحيى بن يحيى الوسلاسي المصمودي الملقب بالليثي (ت.٢٣٤هـ/ ٨٤٨م) "إليه انتهت الرياسة بالفقه في الأندلس وبه انتشر مذهب مالك".[٤] وهذا عبد الله بن عيسى بن أبي زمنين وإبنه محمد وغيرهما من آل إبن أبي زمنين ترسخ بفضلهم المذهب المالكي بالأندلس، وقد نسب عبد الله لموطن هجرته بإلبيرة أندلسيا، لكن يبقى إنتماؤه الأصلي هو بلاد نكور ... وغيرهم من كبار الفقهاء والعلماء والقضاة، من أبرزهم الأمير عبد الرحمان بن سعيد بن إدريس بن صالح بن منصور الملقب بالشهيد.[٥]

١١٨- أبو القاسم الزياني، **الترجمانة الكبرى**، دار اشر المعرفة، الرباط، ص.٨١.

١١٩- **العبر**، ج.VI، ص.٢٨٣.

١٢٠- البكري، ج.II، ص.٢٨١.

١٢١- أبو عبد الله محمد الحميدي، **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر**، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص.٣٥٩-٣٦٠.

١٢٢- البكري، **المسالك**، ج.II، ص.٢٧٦/ الطاهري، **المغرب الأقصى** ..، ص.٩٢-٩٣.

على أي، فقد جمع أمراء نكور بين الإمامة السياسية والدينية، إذ كانوا يصلون بالناس ويخطبون فيهم، ويدبرون شؤونهم وفق أحكام المذهب السني المالكي، وذلك رغم ما لاقوه من تهديدات ومحن خاصة من قبل الفاطميين.[1]

• ارتبطت نشأة الخوارج بحادثة التحكيم بين الصحابيين الجليلين علي ومعاوية بصفين، والذين رفضوه باعتبار أن عليا رضي الله عنه قد تنازل بذلك عن حقه الشرعي في الإمامة، فكفروه بعدما شايعوه، وافترقوا فرقا تميزت بشدة البأس والإندفاع في نصرة مبادئها، لكن ذلك لم يحل دون سحقها والقضاء عليها من قبل الأمويين وولاتهم، مما حذا بهم إلى مراجعة تصورهم وأسلوبهم في المواجهة، وبالتالي رأوا ضرورة الفرار إلى أطراف الخلافة الآمنة نسبيا من القمع والتنكيل، فقصدوا الغرب الإسلامي وخاصة المغرب الأقصى؛ في إطار هجرة المذاهب المعارضة للخلافة بالمشرق. وهكذا استقر المذهب الإباضي بالمغرب الأوسط، في حين وجد المذهب الخارجي الصفري في المغرب الأقصى تربة خصبة له.

من الصعوبة تحديد تاريخ بداية الدعوة الصفرية ببلاد المغرب الإسلامي، لكنها ارتبطت فيما يبدو بشخصية عكرمة مولى الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنه، والذي يقال عنه أنه من أصل مغربي، وقد حاول نشر مذهبه انطلاقا من القيروان، وذلك بعدما رحل إلى المشرق وتفقه على يد كبار الصحابة والتابعين والفقهاء.[2] لكن يظهر "من خلال الإشارات المصدرية أن عكرمة لم يكن داعية كما

- البكري، ج.II، ص.٢٨١.

١٢٤- محمود إسماعيل، الخوارج، ص.٤٦-٤٧/ الطاهري، **المغرب الأقصى**، ص.٩٦ / محمد حناوي، "الصفرية بالمغرب: من الدعوة إلى الإمارة"، ضمن **المذاهب الإسلامية ببلاد المغرب: من التعدد إلى**

هو الشأن بالنسبة لإبن واسول الذي يعتقد أنه الداعية الصفري الحقيقي"،[١] والذي ارتحل إلى المدينة المنورة، فأخذ العلوم الشرعية عن التابعين وتتلمذ على عكرمة مولى إبن عباس ... حتى أصبح من "حملة العلم" حسب تعبير إبن خلدون،[٢] بل صار "مقدم الصفرية"[٣] بين قبائل مكناسة وبطونها، قبل أن ينتقل إلى سجلماسة ونواحيها ليؤسس إمارة تتبنى مذهبه الخارجي.

إن السياسة الجائرة التي اتبعها الأمويون بالمغرب قد أذكت نار الثورات والتمردات ضدهم، وعجلت بتوسع مجال نفوذ المذهب الخارجي. فالبكري يشير إلى جماعة السودان الذين تبنوا المذهب الصفري بسجلماسة أيام عيسى بن يزيد الأسود،[٤] وذلك بعدما انتشر بين قبائل الشمال ومدنه بفعل الثورات والإنتفاضات التي بدأت بزعامة ميسرة المطغري، وكان من ثمارها قيام السلطة المدرارية بمنطقة سجلماسة التي بنت قاعدتها هناك بتخوم الصحراء البعيدة عن بطش بني أمية. وهنا نسجل أن صفرية بني مدرار قد ناقضوا أصول مذهبهم، إذ تحولت الإمامة عندهم من حق لكل مسلم عالم بالكتاب والسنة إلى ملك وراثي، كما هو الشأن بالنسبة لباقي الكيانات السياسية الأخرى، فبقيت السلطة محصورة في ذرية أبي القاسم سمجو المكناسي، بالرغم من أن بعض أعقابه لم يبق وفيا للخط المذهبي للإمارة،

الوحدة، تنسيق حسن حافظي علوي، منشورات كلية الآداب-الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ١٤٧، ص.١٦.

١٢٥- محمد حناوي، "الصفرية بالمغرب."، ص.١٦.

١٢٦ - العبر، ج.VI، ص.١٧٢.

١٢٧- محمد الشطبي المغربي، الجمان في أخبارالزمان، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ١٤١٦ تاريخ، ورقة ٢٠٣، نقلا عن محمود إسماعيل، الخوارج، ص.٤٨.

١٢٨- البكري، ج.II، ص.٣٣٤.

وارتضى لنفسه مذهبا بديلا، الأمر الذي ينطبق على محمد بن ميمون (٢٦٣-٨٢٧٠هـ) الذي كان إباضيا،[١] ثم محمد بن الفتح الملقب بالشاكر لله الذي انقلب على المذهب الخارجي "وأخذ بمذاهب أهل السنة".[٢]

من بين إمارات التجزئة السياسية لمغرب ما بعد الفتح الإسلامي نجد مملكة بورغواطة، والتي بسطت سيطرتها على منطقة شاسعة، ألا وهي بلاد تامسنا، ويظهر أنها اتخذت من شالة ثم آنفا قاعدة لها، كما أن حقيقة مذهبها قد تعرضت لنوع من التعتيم نتيجة تحامل المصادر عليها، وهو ما ساهم في اضطراب وغموض تلك الحقيقة، وذلك على عكس باقي الكيانات السياسية المعاصرة لها، والتي نملك معلومات مقبولة نسبيا عن توجهاتها المذهبية والدينية. فقد وصف الإخباريون بورغواطة بنعوت خطيرة من مثل الكفر والضلال وغير ذلك.[٣] والسؤال المطروح: ما حقيقة المذهب البورغواطي ؟

من خلال الأدبيات التاريخية، لم تصلنا مبادئ الإختيار الديني لبرغواطة كاملة، بل تعاليم وطقوس فيها غرابة وفي الوقت نفسه فيها اقتباس واضح من الإسلام، وهذا ما أعطانا آراء وتأويلات متعددة من قبل الدارسين، إلا " أن أغلب تلك

١٢٩- العبر، ج.VI، ص.١٧٣.

١٣٠- العبر، ج.VI، ص.١٧٤.

١٣١- يقول إبن أبي زرع أن بورغواطة "مجوس أهل ضلال وكفر" وديانتهم خسيسة ومذهبهم سخيف (القرطاس، ص.١٦٤)، في حين يذكر إبن خلدون أن يونس بن إلياس أحد أمرائهم "أظهر دينهم ودعا إلى كفرهم.." بعدما أسره أبوه (العبر، ج.VI، ص.٢٧٧)، أما إبن عذراي فأشار إلى أن ما شرع لهم يونس إنما هو "الضلال" الذي تتعدد مظاهره... (البيان المغرب، ج.I، ص.٢٢٦). وللإشارة فهذه المصادر متأخرة عن مرحلة نشأة هذه الديانة.

التأويلات لا تخضع لمنطق سليم ولا تستند إلى وقائع مضبوطة ومعلومة بل تتأسس على خلفيات إما دينية أو فكرية أو سياسية".[١]

كما أكد ذ.السلامي،[٢] لم تضع أحكام أصحاب المصادر أيضا في حسبانها طبيعة المرحة التاريخية التي يجتازها المغرب، والمتمثلة في البدايات الأولى للإسلام وحداثة المغاربة به، وما يمكن أن يرافق ذلك من استمرار رواسب بعض العادات والسلوكات التي ليست من مبادئ الدين الإسلامي في شيء، خاصة في المناطق التي عرفت احتكاكا أقل مع الفاتحين الجدد، وهو ما ينطبق على إمارة تامسنا التي برزت فيها شوائب وخرافات دينية أكثر من غيرها حتى عدها الكثيرون أقرب إلى الكفر منه إلى الإسلام.

إن قضية أن صالح بن طريف وضع لأتباعه قرآنا، وادعى أنه وحي من الله تعالى،[٣] قد لا يعدو أن يكون ترجمة للقرآن إلى اللسان الأمازيغي ليس إلا، وحتى ييسر لهم فهم كلام الله تعالى واستيعاب معانيه وأحكامه.[٤] ومع هذه الترجمة وجد في أهل تامسنا "من يقرأ القرآن بغاية الإحترام ويحفظ منه السور ويتأول آياته، على موافقته لكتابهم وقرآنهم"،[٥] والأمر هنا قد يصدق خاصة على العلماء الذين لهم دراية بالنص الشرعي وباللغة العربية أيضا.

١٣٢- رشيد السلامي، "حول المرجعية المذهبية والتاريخية لبرغواطة"، ضمن ندوة **المذاهب الإسلامية ببلاد المغرب**، ص.٣٩، ولمزيد من التفاصيل أنظر ص.٣٩-٤١ من المقال نفسه.

[١]- حول المرجعية المذهبية والتاريخية لبرغواطة، ص.٣٣.

[٢]- أنظر مثلا البكري، ج.II، ص.٣١٩-٣٢٣.

[٣]- الطاهري، **المغرب الأقصى**، ص.١٣٢.

[٤]- إبن حوقل، ص.٨٣.

كان طريف أبو صالح على ديانة الإسلام، كما أنه كان من أصحاب وقادة مسيرة المطغري القائم بدعوة الصفرية،[١] ولما قتل هذا الأخير وتفرق جمع أنصاره "بقي طريف قائما بأمرهم بتامسنا"،[٢] وظل متمسكا بأصول المذهب، بل لم يتردد عن بثها في أعقابه، والتي تركت آثارها واضحة في السلوك التعبدي لأهل تامسنا، وهذا ما تناوله بالتفصيل أحد الباحثين،[٣] من ذلك كثرة صلواتهم، حيث كانوا يصلون "خمس صلوات في اليوم وخمس صلوات في الليل"، والتشدد في بعض الأحكام كقتل السارق، وتحليل السمك قبل أكله بالذبح...[٤] وهو التشدد الذي كان عند بعض فرق الخوارج.

فضلا عن بصمات المذهب الصفري في الديانة البرغواطية، فإننا لا نعدم وجود تأثر بالدعوة الشيعية وانتشار التشيع بالمغرب، فمسألة التقية كانت حاضرة عند صالح بن طريف الذي عهد "إلى إبنه إلياس بديانته وعلمه شرائعه وفقهه في دينه وأمره ألا يظهر ذلك إلا إذا قوي وأمن".[٥] ثم فكر المهدوية، إذ تخلى صالح عن ملكه لابنه وخرج "إلى المشرق ووعد أنه ينصرف إليهم في دولة السابع من ملوكهم، وزعم أنه المهدي الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان لقتل الدجال".[٦] هذا إضافة إلى

١- البكري، ج.II، ص.٣١٨ / العبر، ج.VI، ص.٢٧٦ / إبن عذاري، ج.I،ص.٥٧.

٢- العبر، ج.VI، ص.٢٧٦، وانظر كذلك البكري، ج.II، ص.٣١٨.

٣- محمود إسماعيل، "حقيقة المسألة البرغواطية: أضواء جديدة"، ضمن **مغربيات: دراسات جديدة**، مطبعة فضالة، المحمدية، ١٩٧٧، ص.٥٠-٥٣.

٤- البكري، ج.II، ص.٣٢٢.

٥- البكري، ج.II، ص.٣١٩ / العبر، ج.VI، ص.٢٧٧.

٦- البكري، ج.II، ص.٣١٩، وكذلك العبر، ج.VI، ص.٢٧٦.

احتمال حضور مقالات الواصلية خاصة مع تتلمذ إبن طريف على عبيد الله المعتزلي القدري عند رحيله إلى المشرق.[١]

خلاصة القول، إن سلطة بني طريف تبنت مذهبا دينيا تلفيقيا جمع بين الفكر الخارجي الصفري وبعض اعتقادات الشيعة الإمامية وتعاليم المعتزلة ومسالك الزهاد الصوفية ... وبذلك مزج أئمة بورغواطة بين خليط من المذاهب، ليصيغوا مذهبا محليا خاصا بهم، يختلف تمام الإختلاف عما كان سائدا في المشرق والمغرب، زد على ذلك الخصوصية اللسانية المتمثلة في اللهجة الأمازيغية، وهو ما قد يفسر التعميم والتعتيم والتحامل الذي تعرضت له إمارة تامسنا.[٢]

يورد البكري أن الديانة البرغواطية قد انمحت وقضي عليها من طرف الأمير الزناتي تميم اليفرني "وذلك بعد عشرين وأربعمائة من الهجرة، فغلبهم على بلادهم وسباهم وجلا من بقي منهم واستوطن ديارهم وانقطع أمرهم وعفا أثرهم ولم يبق لضلالهم باقية ولا من أواصر كفرهم آصرة".[٣] لكن هذا غير صحيح، فقد استمرت هذه النحلة إلى حدود مجيء المرابطين، حيث محا جيش أبي بكر بن عمر اللمتوني أثرها، وهو ما كلفهم استشهاد فقيههم عبد الله بن ياسين في إحدى المواجهات.[٤] ومنذ ذلك الحين لم نسمع عن معتقدات عصبية بورغواطة شيئا.

---

[١]- **القرطاس**، ص.١٦٥. ولذلك وصف الحميري صالح البورغواطي "بالقدري" (**الروض المعطار**، ص.٤٣٥).

[٢]- أنظر بتفصيل: الطاهري، **المغرب الأقصى**، ص.١٣٤ وما بعدها.

[٣]- **المسالك والممالك**، ج.II، ص.٣٢٤-٣٢٥.

[٤]- **القرطاس**، ص.١٦٧-١٦٩ / **العبر**، ج.VI، ص.٢٧٩.

• تبقى القاعدة المذهبية لإمارة الأدارسة من النقط التي تحتاج المزيد من تسليط الضوء في التاريخ المذهبي للمغرب الأقصى، "فلئن كنا نعدم الأدلة على تمسك الأدارسة بالمذهب الزيدي- الإعتزالي بعد المولى إدريس الأول، فإننا لا نملك أيضا ما يثبت انتسابهم لأهل السنة، بل لدينا على العكس من ذلك ما يدفع إلى الإعتقاد في أن ما نسب إليهم في هذا الباب هو من صنع المصادر المتأخرة عن زمانهم ليس إلا"،[١] خاصة الكتابات المرينية التي اهتمت بمناقب الشرفاء وإظهار اهتمام أمراء بني مرين بهم من أجل كسب شرعية دينية سياسية لسلطتهم.

يقع إجماع على أن إدريس بن عبد الله العلوي الزيدي لما فر من بطش العباسيين بعد واقعة فخ، التجأ إلى المغرب ونزل على إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي المعتزلي، لكن عبارة "فتابعه على مذهبه"[٢] عند البكري تبدو غير واضحة، إذ لا نعلم من خلالها من تابع الآخر على مذهبه. فإبن خلدون يقول بأن إسحاق هو الذي جمع البربر على دعوة إدريس،[٣] ويذكر إبن أبي زرع أن الأمير العلوي أظهر لزعيم أوربة "أمره وعرفه بنفسه، فوافقه في حاله"،[٤] وهذا يعني أن الثاني هو الذي وافق الأول في قناعاته المذهبية. لكن هناك رأي مخالف يذهب إلى أن إدريس الأول هو الذي اتبع المذهب المعتزلي الذي كان يتبناه إبن محمد الأوربي[٥] وعلى أي، نظن بأن الاتجاهين الزيدي والإعتزالي قد تعايشا في كنف الدولة الإدريسية الناشئة على الأقل

١- حسن حافظي علوي، "الدعوة الشيعية ببلاد المغرب"، ضمن ندوة **المذاهب الإسلامية**...، ص.١٠١.

٢- **المسالك والممالك**، ج.II، ص.٣٠٢.

٣- **العبر**، ج.VI، ص.١٩٥.

٤- **القرطاس**، ص.٢٢.

٥- **الإستبصار**، ص.١٩٥.

في البدايات الأولى، إذ يمكن أن يكون ترك إدريس الثاني لقاعدته وليلي وانتقاله إلى مدينة فاس ناجم عن تراجع واختفاء "الود المذهبي" بين هذين الإتجاهين، وبداية مرحلة من صراع إثبات الوجود.

يشير صاحب الإستبصار إلى نقطة مهمة، ألا وهي أن هارون الرشيد خليفة العباسيين لما أراد القضاء على الزعيم العلوي المعارض إدريس بن عبد الله، اختار لهذه المهمة- بمساعدة من وزيره يحيى بن خالد- سليمان بن جرير الجزيري، "وكان رجلا من ربيعة متكلما ممن يرى رأي اليزيدية[1] (الزيدية) متعصبا لآل أبي طالب ... وكانت له إمامة ... وكان إدريس عالما برياسة سليمان باليزيدية، فلما وصل إليه قال : إني جئتك بنفسي وحملتها على ما حملتها عليه لمذهبي فيكم أهل البيت، فجئتك لا في حاجة إليك إلا لأنصرك بنفسي، فسر إدريس بقوله. وقبله أحسن قبول.. فكان سليمان يجلس في مجالس البربر ويظهر الدعاء إلى ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويحتج لأهل البيت كاحتجاجه بالعراق. فأعجب ذلك إدريس منه".[2]

من خلال هذه الإشارة يظهر أن إدريس الأول حمل معه الدعوة الشيعية والمذهب الزيدي إلى بلاد المغرب، بل إن هناك قرائن ووقائع تثبت وصول التشيع الزيدي إلى الغرب الإسلامي في خلافة أبي جعفر، فقد بعث محمد النفس الزكية أخاه "عيسى إلى إفريقية، فأجابه بها خلق كثير من قبائل البربر"،[3] كما أن سليمان بن عبد

---

[1]- الأصح الزيدي نسبة إلى زيد بن علي زين العابدين بن الحسن بن على بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو أحد أئمة الشيعة الذين قاموا على العباسيين. والزيدية أقرب مذاهب الشيعة إلى مذهب أهل السنة والجماعة...

[2]- الاستبصار، ص.١٩٥ / وانظر كذلك البكري، ج.II، ص.٣٠٤...

[3]- القرطاس، ص.١٨.

الله قد نزل بتلمسان واستوطنها،[١] وأصبح أخوه إدريس إماما لبعض الزيدية.[٢] والمهم أن المذهب الشيعي الزيدي قد وجد له موطئ قدم بجهات كثيرة من المغرب. وذلك على حساب اتجاهات دينية أخرى، خاصة المذهب الخارجي الصفري.

علاوة على ما سلف، هناك ما يؤكد على التوجه الشيعي لأئمة الأدارسة، من ذلك وجود إسم "علي" و"المهدي" على بعض مسكوكاتهم،[٣] كما أن الشيعة البجليين "دعوا لبعض الأمراء الأدارسة وأقاموا الدعوة الشيعية بالسوس لتتأكد الصلة بين الأدارسة والتشيع في مرحلة ضعفهم تماما كما كانت ثابتة في بداية عهدهم بالحكم ... وتنتسب هذه الطائفة إلى علي ابن ورصند البجلي[٤] (ت.٢٩٦هـ/ ٩٠٩م) الذي قام على الأمير إدريس بن القاسم بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن إدريس بن إدريس صاحب إيجلي،[٥] وأدى تحالف هذا الداعية مع الأمير الإدريسي إلى سيادة المذهب الشيعي الموسوي. والذي إذا كان قد امتد إلى تيومتن قاعدة درعة قد تردد في المناطق القبلية المجاورة لها، ولا يستبعد أن يكون الصدى قد امتد إلى مناطق بعيدة".[٦]

١- **القرطاس**، ص.١٨.

٢- **المقدمة**، ص.١٨٧.

٣- Eustache, corpus de monnaies Idrissides et Alaouites, p.٧٣/ - نقلا عن حافظي، الدعوة الشيعية..، ص.١٠٠

٤- اختلفت المصادر في إسم مؤسس النحلة البجلية، أنظر ذلك عند وداد القاضي، "الشيعة البجلية في المغرب الأقصى"، ضمن **أشغال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي وحضارته**، سلسلة الدراسات التاريخية -١- الجامعة التونسية، ١٩٧٩، ج.I، ص.١٧٠-١٧١.

٥- البكري، ج.II، ص.٣٤٧.

٦- حافظي، "الدعوة الشيعية ببلاد المغرب"، ص.١٠١-١٠٢.

إن اعتدال الحركة الشيعية الزيدية جعلها تكسب إلى جانبها بعض الطوائف الفكرية كطائفة المعتزلة، كما أنها اعترفت بالخلافة لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما وأسبقيتهما عن علي رضي الله عنه، ولا تقول بضرورة حصر الإمامة في سلالة فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم.[١] ورغم أن الأدارسة لم يتبنوا المذهب المالكي أو يعملوا على نشره، فإنهم أكنوا له احتراما خاصا، بل إنهم لم يلزموا الناس بتبني المذهب الشيعي أو غيره، "فقد كانت إستراتيجيتهم المذهبية التسامح غير المخل بمصالحهم، ولذلك وجدت المذاهب حرية في مغرب الأدارسة، إلا أن السكان فضلوا المذهب المالكي لاعتبارات خاصة بهم" .[٢] وساعدت هذه الظروف على بروز علماء درسوا على الإمام مالك كعامر بن محمد بن سعيد القيسي الذي استقضاه إدريس الثاني،[٣] وأحمد بن حذافة وبشار بن ركانة البصريين،[٤] وأبو ميمونة دراس بن إسماعيل[٥] وغيرهم.

• إن الناظر في الخريطة السياسية لمغرب النصف الأول من ق.٣هـ يلاحظ أن شطرا لا يستهان به من أجزائه كان تحت سلطة الأدارسة، ولذلك فإن هجرة علي بن

---

[١]- أحمد عزاوي، **مختصر تاريخ الغرب الإسلامي**، ربا نيت، الرباط، ٢٠٠٧، ج.I، ص.٩٥.

[٢]- رضوان مبارك، **المذهب المالكي بالمغرب في عهد المرابطين و الموحدين** ،د.د.ع.في التاريخ،كلية الآداب- الرباط،١٩٩٥-١٩٩٦،هامش ص.١٩٨.

[٣]- **القرطاس**، ص.٣٥.

[٤]- حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ج.I، ص.١١٥.

[٥]- **القرطاس**، ص.٤٥، ودراس فقيه كبير من أهل فاس، وهو من الحفاظ المعدودين، وممن أدخل المذهب المالكي إلى المغرب، توفي سنة ٣٥٧ هـ. (محقق **القرطاس**، هامش ص.٤٥).

ورصند الرافضي البجلي[١] إلى المغرب كانت بسبب وجود هؤلاء في الحكم، وإمكانية الإحتماء بهم، خصوصا وأنهم يمثلون أهل البيت وأئمتهم الذين يتولاهم، بعدما صعب عليه إظهار دعوته بإفريقية بنفس مستوى نشرها بالمغرب.[٢] وقد اختار إبن ورصند أرض السوس باعتبارها منطقة نائية لإشاعة قناعاته الدينية، ووجد في عصبة بني لماس ضالته ومرتكزه البشري "فدعاهم إلى سب الصحابة -رضوان الله عليهم- وأحل لهم المحرمات، وزعم أن الربا بيع من البيوع وزادهم في الآذان بعد "أشهد أن محمدا رسول الله"، "أشهد أن محمدا خير البشر"، ثم بعد "حي على الفلاح"، "حي على خير العمل، آل محمد خير البرية".[٣] وقد وصف إبن حوقل أصحاب إبن ورصند بأنهم موسوية. وأنهم مختلفون مع أهل السوس المالكيين إلى حد القتال، وأن "لهم بالبلد مسجد جامع تصلي فيه الفرقتان فرادى عشر صلوات إذا صلت فرقة تلتها الأخرى بعشرة آذانات وعشر إقامات".[٤]

أثناء زحف المرابطين انطلاقا من مواطنهم بالصحراء في اتجاه الشمال، فتحوا سجلماسة التي استدعاهم فقهاؤها لتخليصهم من حكام مغراوة، ثم استولوا على درعة واكتسحوا منطقة السوس، وتمكنوا من الإستيلاء على تارودانت رغم المقاومة التي أبداها البجليون، وقتلوا منهم أعدادا كبيرة ورجع من بقي منهم إلى المذهب

---

[١]- يعتبر مؤسس المذهب البجلي، وهو من مدينة نفطة التي تقع على بعد عشرين ميلا إلى الشرق من الحدود الجزائرية، وعلى بعد ٦٣ ميلا إلى الجنوب من قفصة (وداد القاضي، "الشيعة البجلية بالمغرب الأقصى"، هامش ص.١٧١).

[٢]- القاضي، "الشيعة البجلية.."، ص.١٦٨.

[٣]- البكري، ج.II، ص.٣٤٧.

[٤]- **صورة الأرض**، ص.٩٠.

السني المالكي،[١] بالرغم من إشارة الإدريسي في ق.٦هـ/ ١٢م، إلى أن " أهل السوس فرقتان، فأهل مدينة تارودانت يتمذهبون بمذهب المالكية ... وأهل بلد تويوين يقولون بمذهب موسى بن جعفر ".[٢]

نتجت عن الظروف والأحداث السياسية التي شهدها المشرق الإسلامي نشأة المذاهب والفرق الدينية وتعددها، والتي هاجر بعضها إلى المغرب لكونه منطقة آمنة في أقصى غرب العالم القديم، خاصة المذهب الخارجي الصفري والمعتزلي والشيعي وغيرها، ونجحت هذه التوجهات في تكوين إمارات سياسية قبلية جهوية، كما نجح المذهب السني المالكي في التموقع داخل الخريطة المذهبية للمغرب الأقصى، إذ بالإضافة إلى تبنيه من طرف أمراء دولة بني صالح التي يعتقد أنها قد تكون صدرته إلى الأندلس، وجدنا بعض الفقهاء الكبار، والذين من أبرزهم أبو ميمونة دراس بن إسماعيل الذي يعتبر ممن أدخل مذهب الإمام مالك إلى المغرب،[٣] ثم أبو عمران الفاسي ووجاج بن زلو وعبد الله بن ياسين ... الذين كانت لهم بصمات واضحة في مسيرة قيام سلطة المرابطين كأول قوة سياسية استطاعت توحيد الغرب الإسلامي وتثبيت مذهب أهل السنة والجماعة عبر الجهاد والسلاح. كما أن فقهاء سجلماسة ربما نشطوا ولو تحت سلطة صفرية بني مدرار، واستطاعوا إقناع الشاكر لدين الله بتبني مذهب المالكية،[٤] بل هم من أعطى شرعية لتدخل صنهاجة اللثام في جنوب المغرب.

١- **القرطاس**، ص.١٦٣/ **الإستقصا**، ج.I، ص.١٧٣.

٢- **نزهة المشتاق**، ج.I، ص.٢٢٨.

٣ - **القرطاس**، ص.٤٥.

٤ - يذكر البكري أن محمد بن الفتح (الشاكر) كان سنيا مالكيا حسن السيرة وعادلا...(ج.II، ص.٣٣٦).

أسهمت عوامل مختلفة في ترسيخ المذهب المالكي بالمغرب الأقصى، فمنها الإقليمية والاجتماعية والفكرية... لكن يبقى العامل الحاسم هو دور السلطة السياسية المتمثل في حمل بعض الأمراء والحكام رعاياهم على الإلتزام به في شؤونهم الدنيوية والأخروية. مثلا فقد مهدت تبعية الزناتيين للخلافة الأموية بالأندلس السبيل لتثبيت مذهب صاحب "الموطأ" في البيئة المغربية، ليأتي دور المزيد من تكريسه وتعميمه مع وصول عصبية قبائل صنهاجة إلى الحكم، حيث خلقت الوحدة السياسية وحدة مذهبية، إذ حرص أمراء لمتونة على تطبيق هذا المذهب تحقيقا لحلم ورغبة الفقهاء المالكيين، وكذلك تأثرا بأمويي الأندلس، حيث اقتبسوا منهم العديد من النظم القضائية.[1] وبالتالي أصبح الفقه لسني المالكي هو المهيمن في مجال العبادات والمعاملات الشرعية، حتى لقد "نفقت في ذلك الزمان كتب المذهب (المالكي) وعمل بمقتضاها ونبذ ما سواها.."،[2] وكان مما تم نبذه وتقبيحه الخوض في علم الكلام باعتبار كراهة السلف له، وخاصة الإمام مالك. وربما لهذا السبب وغيره حاربوا كتاب "إحياء علوم الدين" للإمام الغزالي كما سنتطرق لذلك في النقطة الأخيرة من هذا البحث.

هكذا نستخلص أن المدينة المغربية تمذهبت بمذاهب مختلفة خارجية وشيعية واعتزالية ... وساعدت جهود بعض الفقهاء والزعماء في توسيع الرقعة المجالية لانتشار المذهب السني المالكي، حتى إذا أقبلت سلطة المرابطين، رأينا هذا المذهب يسري في حياة المغاربة حكاما ومحكومين، ويهيمن على كل مرافق الدولة، وانتهى

---

[1] - حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ج.I، ص.٢٠٠.

[2] - **المعجب**، ص.١٢٢.

بذلك عصر الخلافات العقدية والمذهبية نسبيا لصالح عصر التوحيد الديني والسياسي.

obeikandl.com

ثانيا : قراءة في قضية إحراق «الإحياء»

*****

نعلم بأن المرابطين كانوا أهل سنة و جماعة، وارتكزت سلطتهم على دعوة دينية إصلاحية تحارب كل ما من شأنه أن يعكر صفو الإسلام و يشوش على عقول عامة معتنقيه، واعتمدوا في ذلك على فقهاء المذهب المالكي. بل أيدهم حتى علماء المشرق الإسلامي، ولعل أشهرهم الإمام أبو حامد محمد الغزالي. لكن رغم هذا التأييد لماذا تم إحراق كتبه، أو على الأقل كتابه "إحياء علوم الدين" ؟ وهل كان برأي من فقهاء المرابطين ؟ وما السبب ؟

في سنة ٥٠٣هـ/ ١١٠٩م وقعت حادثة إحراق كتاب " الإحياء" للإمام الغزالي سواء في المغرب أم في الأندلس. وذلك في عهد علي بن يوسف بن تاشفين الذي كتب أمره إلى جميع بلاده لإحراق نسخه،[1] وذلك بعدما بدأ ينتقل التصوف من مسألة تكاد تكون فردية إلى تيار عام، ربما لم يستطع حكام لمتونة ضبط إيقاعاته المتسارعة كما هو شأن غيره من التغيرات الفكرية و الدينية.

بدأ الأمر بفقهاء قرطبة الذين تكلموا في "الإحياء" وأنكروا فيه بعض الأشياء، وفي مقدمتهم القاضي إبن حمدين الذي وصل به الأمر أن كفر كل ما يقرأه و يعمل به، بل استطاع إقناع علي بن يوسف بضرورة التخلص من نسخه وحرقها، خاصة وأن هذا الفقيه كان جد مقرب و محبب للمرابطين، وبلغ عندهم منزلة عظيمة،

- إبن القطان المراكشي، **نظم الجمان**، تحقيق محمود علي مكي، المطبعة المهدية، تطوان، ص.١٤/ إبن عذراي،ج. IV ، ص.٥٩.

بحيث ذكر إبن القطان أنه عند وفاته "حزن الناس عليه وكان محببا لهم وللملثمين، وكان قد حاز في المكانة لديهم مالم يحزه غيره ممن سلك، وكان جميل الطريقة ساعيا في كل خير، قطع الضرائب والمعاون على أهل قرطبة وسن كل طريقة جميلة وسيرة حسنة لأن إبن تاشفين كان لا يخالفه في شيء".[١] وبهذا "عزم علي بن يوسف ... على إحراق كتاب أبي حامد الغزالي رحمه الله تعالى، المسمى "الإحياء"، فأحرق في رحبة مسجدها (قرطبة) على الباب الغربي على هيأته بجلوده بعد إشباعه زيتا، وحضر لذلك جماعة من أعيان الناس، ونفذت كتبه إلى جميع بلاده آمرا بإحراقه حيثما وجد، وأخذت منه نسخ من أيدي أصحابها كان معول الغزالي عليها".[٢]

نستخلص من كلام إبن القطان السالف أن عليا بن يوسف هو الذي أمر بحرق "الإحياء" مع عدم ذكر المبرر، لكن صاحب "الحلل"[٣] يقول بأن الفقهاء أنكروا فيها بعض الأشياء دون أن يوضح هذه الأشياء. فلماذا إذن تم هذا الإنكار ؟

هناك اختلافات بين المصادر والدراسات المعاصرة حول أسباب ودوافع إحراق كتاب الغزالي، يمكن إرجاعها عموما إما لخلفيات دينية متعلقة بما حواه "الإحياء" من علم الكلام والأحاديث الضعيفة والموضوعة ومخالفة العقيدة الإسلامية الصحيحة في بعض المسائل بالإضافة إلى بعده الصوفي وغير ذلك. أو هناك أهداف سياسية ومبررات اجتماعية، تمثلت فيما تضمنه إحياء الغزالي من أفكار إصلاحية وإحيائية "ثورية" قد تمس مصالح جهة معينة، أو تحدث خلخلة في البنيان الاجتماعي والسياسي للمرابطين.

---

١ - نظم الجمان، ص.١٨.

٢ - إبن القطان، ص.١٤.

٣ - مجهول، الحلل الموشية، ص.١٠٤.

على المستوى الديني، يشير عبد الواحد المراكشي إلى أن السبب يرجع ربما إلى تقبيح الفقهاء لعلم الكلام، وذلك بقوله : "... ولم يكن يقرب من أمير المسلمين ويحظى عنده إلا من علم علم الفروع - أعني فروع مذهب مالك - فنفقت في ذلك الزمان كتب المذهب وعمل بمقتضاها ونبذ ما سواها ... ودان أهل ذلك الزمان بتكفير كل من ظهر منه الخوض في شيء من علوم لكلام، وقرر الفقهاء عند أمير المسلمين تقبيح علم الكلام وكراهة السلف له وهجرهم من ظهر عليه شيء منه، وأنه بدعة في الدين، وربما أدى أكثره إلى اختلال العقائد ... حتى استحكم في نفسه (أي عليا بن يوسف) بغض علم الكلام وأهله، وتوعد من وجد عنده شيء من كتبه، ولما دخلت كتب أبي حامد الغزالي- رحمه الله - المغرب، أمر أمير المسلمين بإحراقها ..."[1].

أما إبن الأحمر فيذهب إلى أن سبب إحراق "الإحياء" ومعارضة الفقهاء له لما تضمنه من الأحاديث الموضوعة، حيث يقول : "... وزعم بعضهم أن سبب انقراض دولة لمتونة هو دعوة أبي حامد الغزالي عليهم، وذلك أنه لما ألف كتابه المسمى "الإحياء" وجه به إلى جامع قرطبة، فلما وصلها تكلم فيه فقهاء قرطبة لما فيه من الأحاديث الموضوعة التي لا أصل لها، وقالوا هذا الكتاب يضر بالمسلمين، الصواب إحراقه. فاتفق علماء قرطبة على إحراقه ... وأما قاضيها إبن حمدين فقال بكفر مؤلفه، ثم كتب علماء قرطبة إلى علي بن يوسف يأمرونه بأن يأمر بإحراقه في

---

[1] - المعجب، ص.١٢٢.

جميع بلاد الأندلس والمغرب، فلما بلغه كتاب علماء قرطبة واتفاقهم على إحراق كتاب الإحياء للغزالي أمر بحرقه فحرق في كافة بلاد المغرب وبلاد الأندلس ...".[١]

فضلا عن الأحاديث الموضوعة فقد أحصى عبد الواحد بن صبيح سبعمائة وثلاثة وأربعين حديثا ضعيفا معتمدا في ذلك على تخريج أبي الفضل العراقي، أضف إلى ذلك الأحاديث المنكرة التي لا أصل ولا إسناد لها، والتي بلغ عددها ثلاثمائة وخمسة عشر حديثا ...[٢] "وإن دولة عرفت بصرامتها في الدفاع عن العقيدة والحفاظ على ينبوعها الصافي ونبذ كل ما يشوب نقاءها، ما كانت لتترك مثل كتاب "الإحياء" بما فيه من أحاديث موضوعة وترهات صوفية وآراء فلسفية بين العوام".[٣]

بعد أن ساق بعض الآراء المعاصرة في الموضوع، شكك بنسباع في كون ورود الأحاديث الضعيفة والموضوعة سببا في حرق إحياء الغزالي، خاصة أن هذا الأخير يكاد يكون قد اقتصر على نقل مادة كتابي "الرعاية" للمحاسبي "وقوت القلوب" لأبي طالب المكي.[٤]

يرى عبد المجيد بن الصغير أن العلاقة كانت حميمية بين يوسف بن تاشفين والإمام الغزالي الذي حرص لدى الخليفة العباسي على تقليده الإمارة، لكن بالمقابل فإن الذي جعل موقف المرابطين معاديا "للإحياء" هو بعده الصوفي بالأساس،

---

[١] - إسماعيل بن الأحمر، **بيوتات فاس الكبرى**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢، ص.٣٣-٣٤.

[٢] - **المرابطون (بحث في المكونات السياقية)**، مكتبة سلمى الثقافية، ط.١، ٢٠٠٦، ص.١١٣.

[٣] - بنصبيح، **المرابطون**، ص.١١٧.

[٤] - **السلطة بين التسنن و"التشيع" والتصوف..**، ص.٨١ – ٨٢،٨٧.

خاصة مع ضغط الفقهاء.[١] ثم أن روح التصوف التي جاء بها الغزالي تتنافى مع ما كانت تتطلبه المرحلة التي يجتازها العالم الإسلامي آنذاك من تجند ورباط وجهاد ضد الحملات الصليبية.[٢] ومن خلال الإطلاع على "بيان جملة من حكايات المحبين وأقوالهم ومكاشفاتهم"[٣] تتبين بعض الآراء والأقوال التي أقل ما يقال عنها أنه يصعب تقبلها مهما كان تأويلها. من ذلك مثلا ما رواه من " أبا تراب التخشبي كان معجبا ببعض المريدين فكان يدنيه ويقوم ببعض مصالحه والمريد مشغول بعبادته ومواجداته، فقال له أبو تراب يوما لو رأيت أبا يزيد ؟ فقال : إني عنه مشغول، فلما أكثر عليه أبو تراب من قوله "لو رأيت أبا يزيد" هاج وجد المريد فقال : ويحك ما أصنع بأبي يزيد قد رأيت الله تعالى فأغناني عن أبي يزيد ؟ قال أبو تراب : فهاج طبعي ولم أملك نفسي، فقلت : ويلك تغتر بالله عز وجل لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله سبعين مرة..!".[٤] وأبو يزيد هذا هو الذي استعصت عليه نفسه حين دعاها إلى الله، فعزم ألا يشرب الماء ولا يذوق النوم سنة كاملة فوفت له بذلك ![٥] وفي سياق الحديث عن محاربة كبر النفس وعلاج حب الجاه ذكر أن إبن الكريبي وهو أستاذ الجنيد عرف بالصالح بين الناس، فخاف على نفسه، فكان أن دخل الحمام وقام بسرقة ثياب فاخرة، فصار يعرف بلص الحمام فسكنت نفسه

---

[١] - "البعد السياسي في نقد إبن العربي لتصوف الغزالي"، ضمن **ندوة أبي حامد الغزالي**، منشورات كلية الآداب- الرباط، ١٩٨٨، ص.١٨٤- ١٨٥.

[٢] - محمد اليعقوبي البدراوي، "إحراق "كتاب الإحياء" في الغرب الإسلامي"، **المنهل**، مجلة تصدرها وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط، ع.٩، ص.٣١٨/ بنصبيح، **المرابطون**، ص.١١٧.

[٣] - انظر أبي حامد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة، بيروت، ج.IV، ص.٣٥٥ وما بعدها.

[٤] - الغزالي، **إحياء علوم الدين**،ج.IV،ص.٣٥٦.

[٥] - الغزالي، **الإحياء**، ج.IV ، ص.٣٥٦.

واطمأنت !"[١] وغير هذه الحكايات والأمثلة كثير، بحيث يعطي مفاهيم خاطئة أو مبالغ فيها عن المجاهدة والتوكل ومعاقبة النفس ...[٢]

بالمقابل يشكك إبراهيم بوتشيش في صحة الرأي القائل بأن حادثة الإحراق كانت بسبب البعد الصوفي لكتاب الغزالي، خاصة وأن المرابطين أنفسهم نحوا منحى تصوفيا،[٣] فعلي بن يوسف "كان إلى أن يعد في الزهاد والمتبتلين أقرب منه إلى أن يعد في الملوك والمتغلبين"،[٤] بل إن هذا الأمير كان يتبرك بكتاب الإحياء قبل أن يقرر إحراقه بتوجيه من الفقهاء، ويذكر أنه أصدر ظهير توقير لأحد المتصوفة ملتمسا منه الدعاء الصالح.[٥] ولهذا فكون تيار التصوف قد بدأ يتبلور سواء في الأندلس أو المغرب، فإنه لا يعني أنه يشكل خطرا حقيقيا على دولة المرابطين، ومما يعني أن موقف المرابطين من الإحياء ليس بسبب حمولته الصوفية حسب بوتشيش.[٦]

ربما كان لعدم قدرة المرابطين على الإنفتاح والتعامل بإيجابية ومرونة مع المتغيرات الفكرية التي عرفها العالم الإسلامي بمشرقه ومغربه دور في إحراق "الإحياء"، فسياستهم كانت ترمي إلى توحيد العقيدة (لا إسلام إلا إسلام السلف كما حافظ عليه مالك وأصحابه) ومحاربة التصوف والبدع وعلم الكلام وحتى

---

١ - الغزالي، **الإحياء**، ج. IV، ص.٣٥٨.

٢ - أنظر مثلا : **الإحياء**، ج. IV، ص.٢٧٢، ٤٠٦، ٤١١ ...

٣ - **إضاءات**، ص.١٣٧.

٤ - **المعجب**، ص.١٢١.

٥ - بوتشيش، **إضاءات**، ص.١٣٧.

٦ - **إضاءات**، ص.١٣٨.

المذاهب الفقهية الأخرى كالمذهب الشافعي مثلا.[١] وفي هذا الإطار تمت محاربة كتب الغزالي، فهو يتخذ موقفا سلبيا من علوم الشريعة، إذ كان لا يقر سوى علوم المكاشفة، كما يعرض أحاديث وآثارا ضعيفة بل موضوعة لم يذكر سندها، ويسرد بعض الحكايات الغريبة والمجافية للسنة النبوية انشريفة، ويعتمد أحيانا على الجدل والمناظرة العقلية التي قد تسيء إلى العقيدة بالإضافة إلى عرضه لآراء الفلاسفة والشيعة الباطنية وأقوال الزنادقة ...[٢] وكذلك استشهاده بما في الكتب السابقة المحرفة كالإنجيل مثلا،[٣] والتي يصعب معرفة صحيحها من سقيمها، وقد ذهب جمهور العلماء إلى أنها لا تصدق ولا تكذب.

باعتبار الدعوة المرابطية دعوة إصلاحية، فقد تميزت سياسة زعماء لمتونة المالية في بادئ أمرهم بالإلتزام بما أوجبه الشرع ليس إلا، لكن مع توسع دولتهم وتزايد حاجاتها- خاصة ما يرتبط بمتطلبات المجهود الحربي بالأندلس- تم فرض ضرائب غير شرعية. ومعلوم أن الغزالي كان له موقف واضح من "جهات الدخل للسلطان"، إذ حدد الجائز منها في قسمين : ما يؤخذ من الكفار من غنيمة وفيء وجزية وأموال المصالحة، ثم ما يؤخذ من المسلمين من المواريث والأوقاف وسائر الأموال الضائعة التي ليس لها مالك. وما دون ذلك فهو حرام شرعا.[٤] أفلا يشكل هذا دعما للمعارضة التي ستتنامى مع توالي الأيام ضد الحكم المرابطي الذي تجاوز الإطار الشرعي من استخلاص الزكوات والأعشار إلى المغارم القاسية من معونة

---

١ - العروي، **مجمل تاريخ المغرب**، ج.II، ص.١٣٠،١٢٩،١٢١.

٢ - أنظر بتفصيل : ابن صبيح، **المرابطون**، ص.١٠٨- ١١٨.

٣ - أنظر على سبيل المثال : **الإحياء**، الملحق، ص.٥٢.

٤ - **الإحياء**، ج.II، ص.١٣٥ وما بعدها.

وقبالة ومكوس ؟ خاصة إذا أضفنا أن الغزالي اتخذ موقفا صارما من التعامل مع السلاطين وأموالهم،[١] وذكر جملة من "الأخبار والآثار التي تدل على ما في مخالطة السلاطين من الفتن وأنواع الفساد ... (إذ أن) الداخل على السلطان متعرض لأن يعصى الله تعالى إما بفعله[٢] أو بسكوته وإما بقوله وإما باعتقاده فلا ينفك عن أحد هذه الأمور". هذا يجرنا إلى الإعتقاد بإمكانية دور أفكار وانتقادات صاحب "الإحياء" في عملية الإحراق، وذلك بما تضمنه من محتوى إجتماعي وسياسي يميل إلى جبهة المعارضة. فالغزالي اعتبر أن هدف الفقه يجب أن يكون أخرويا لا دنيويا، وحذر الفقهاء من مخالطة السلاطين ونبذ المال لأنه يشغل عن ذكر الله، ولذلك اصطدمت الأفكار الإحيائية مع ما كان يعيشه الفقهاء في دولة المرابطين من بذخ ورخاء ورغد عيش.[٣]

إذن فأبو حامد نصب نفسه للدفاع عن المستضعفين من الرعية من جور الحكام وتواطؤ الفقهاء بالصمت والتبرير لخدمة مصالح دنيوية "لذلك فإن الكتاب كله قد اعتبر بمثابة صك اتهام موجه إلى كل من الفقهاء والسياسة".[٤] وربما وعى الفقهاء خطورة أفكاره وآرائه الإصلاحية والإحيائية، والتي قد تهددهم في مصالحهم، بل

---

١ - **الإحياء**، ج.II، ص.١٣٧ وما بعدها.

٢ - **الإحياء**، ج.II، ص.١٤٣.

٣ - بوتشيش، **إضاءات**،ص.١٣٦/ محمد ولد داداه، **مفهوم الملك في المغرب من انتصاف القرن الأول إلى انتصاف القرن السابع-دراسة في التاريخ السياسي**،دار الكتاب اللبناني-بيروت/ دار الكتاب المصري-القاهرة،ط.١،١٩٧٧،ص.١١٩.

٤ - محمد القبلي، "رمز "الإحياء" وقضية الحكم في المغرب الوسيط"، ضمن **مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط**، دار توبقال للنشر، البيضاء، ط.١، ١٩٨٧، ص.٤٨.

قد تهدد النظام المرابطي برمته،[١] فكان أن عارضوه بشدة خوفا على امتيازاتهم، في الوقت الذي لقي فيه ترحابا من طرف العامة.[٢]

إن معارضة " الإحياء" لم تقتصر على بعض فقهاء الغرب الإسلامي فقط، بل عمت العالم الإسلامي كله واستمرت على مر العصور، ومن أعلام هؤلاء العلماء نجد عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي وأبو الفرج عبد الرحمان بن الجوزي وأبو عبد الله شمس الدين الذهبي وأبو عمر بن الصلاح وشيخ الإسلام أحمد بن تيمية وغيرهم كثير ...[٣] لكن على الصعيد الرسمي ماذا وقع ؟! فالملاحظ أن الجهات الرسمية في مختلف المناطق الإسلامية عاملت "الإحياء" معاملة عادية كغيره من الكتب فلم تقاومه أو تقوم بإحراقه أو تعاقب ممتلكيه، بل يكاد يتميز موقفها منه باللامبالاة وعدم الإكثرات.[٤] إذن لماذا لم يثر إحياء الغزالي في الشرق الإسلامي الضجة نفسها التي أثارها في الغرب الإسلامي ؟ ثم لماذا ارتبط أمر الإحراق بالمرابطين دون غيرهم ؟

بالمشرق كان منشأ المذاهب الفقهية والعقدية ومجال الآراء والمجادلات الكلامية، ورغم وصول صدى ذلك إلى المغرب. ففي سبيل تحقيق وحدة سياسية ومذهبية، سعى المرابطون إلى قمع ومحاربة كل ما يخالف المذهب السني المالكي، ولم يسمحوا بتجاوز آرائه واجتهاداته، ومن ثم رأرا في سياسة الإحراق وسيلة ناجعة لإقبار بعض القناعات الإحيائية، وهو الشيء الذي لم يسبق لسلطة مغربية أن تبنته أو

---

١ - القبلي، رمز "الإحياء" ، ص.٤٨.

٢ - بوتشيش، **إضاءات**، ص.١٣٦.

٣ - أنظر بتفصيل: بنصبيح، **المرابطون**، ص.١٠٦ وما بعدها.

٤ - القبلي، **مراجعات**، ص.٢٨.

قامت به. فوقع الإحراق وتبعته الضجة ولم يجن حكام عصبية صنهاجة من ثمار سوى الريح ! فكانت النتائج عكسية، إذ تزايد العداء والسخط عليهم، وتقوت مبررات رفضهم وهم مازالوا لم يدخلوا طور الإنحدار والتدهور. كما تم لفت انتباه عموم الناس إلى الأفكار التي جاء بها الكتاب، وأخذ عدد المقبلين على قراءته يتزايد باستمرار. ففي المغرب مثلا "نما التيار الغزالي بسرعة ... وتعرض أنصاره لبطش السلطة المرابطية التي زجت ببعضهم في السجون، ولكنهم لم يتقاعسوا عن الدعاية لتيارهم عن طريق تأليف مصنفات صوفية داخل السجون نفسها".[١]

اتخذت حادثة الإحراق أكثر من حجمها، وندد بها العديد من المؤلفين رغم أنها مسألة عادية ألفها الأندلسيون من قبل ومن بعد.[٢] وهكذا نعت المرابطون بالتحجر والقمع والجهل وغيرها من الأوصاف القدحية. في حين قد يكونوا أنفسهم ضحية لصراع قام بين بعض الفقهاء وأنصار "الإحياء" بالأندلس وسرى مفعوله إلى المغرب الأقصى مع احتماء طرف ضد الآخر بقوة السلطة.[٣] فعلي بن يوسف قدم على إحراق "الإحياء" رغم ما عرف عنه- وعن غيره من حكام لمتونة- من تسامح في مواقف خطيرة، من ذلك على سبيل المثال رفضه قتل المهدي بن تومرت، بل امتنع حتى عن سجنه رغم أن الفقهاء نصحوه بالقضاء عليه تصفية أو حبسا ![٤] وقال متورعا : "علام نأخذ رجلا من المسلمين نسجنه ولم يتعين لنا عليه حق ؟ وهل

---

[١] - بوتشيش، **إضاءات**، ص.١٤٧.

[٢] - البدراوي، "إحراق "الإحياء" في الغرب الإسلامي"، ص.٣١٣. بل إن الموحدين قاموا في المغرب الأقصى، وبخاصة بفاس بإحراق بعض كتب المذهب المالكي حيث كان "يؤتى منها بالأحمال فتوضع ويطلق فيها النار" (**المعجب**، ص.١٩٨).

[٣] - القبلي، **مراجعات**، ص.٢٨.

[٤] - **المعجب**، ص.١٣١.

السجن إلا أخو القتل ؟ ولكن نأمره أن يخرج عنا من البلد وليتوجه حيث شاء !".[١]

يبين هذا الموقف بجلاء ورع علي بن يوسف مع المخالفين، وبالتالي فمسألة إحراق "الإحياء" لا يمكن أن تفسر بتعصب المرابطين، أو بتعصب فقهائهم، فربما كان الأمر مرتبطا بغيرة على الدين. فعلي بشهادة عبد الواحد المراكشي، "كان حسن السيرة جيد الطوية نزيه النفس، بعيدا عن الظلم، كان إلى أن يعد في الزهاد والمتبتلين أقرب منه إلى أن يعد في الملوك والمتغلبين، واشتد إيثاره لأهل الفقه والدين".[٢] ولذلك لا يجب أن نربط مسألة الإحراق بأن "العقلية المغربية التقليدية عقلية تكره "شغب العقل"،[٣] أو بأن الفقهاء كانوا متزمتين لا يرون الحق إلا واحدا بجانبهم، بل يمكن أن يبرر ذلك ويعلل بحرصهم على حماية الناس من "الأوبئة والأمراض" العقدية والتعبدية والسلوكية التي قد تهلك الإنسان في جانبه المعنوي وفي تدينه السليم ... فرغم أن إبن القطان كان داعية الموحدين، إلا أن ذلك لم يمنعه من قول الحق في سيرة إبن حمدين أحد فقهاء المرابطين لذين أمروا بإحراق كتاب الغزالي واتخذوا منه موقفا متشددا، حيث ذكر بأن الناس حزنوا عليه عند وفاته لأنه "كان محببا لهم وللملثمين، وكان قد حاز في المكانة لديهم ما لم يحزه غيره ممن سلك، وكان جميل الطريقة ساعيا في كل خير ... ورعا دينا حذرا من العواقب".[٤]

---

١ - المعجب، ص.١٣١.

٢ - المعجب، ص.١٢١.

٣ - بوتشيش، إضاءات، ص.١٤٧.

٤ - نظم الجمان، ص.١٨.

قد يكون إحراق الإحياء ليس الأسلوب الأنسب والأفضل، ولكن نعتقد أن الهدف كان نبيلا، ألا وهو حفظ وحدة المغرب الدينية، ولعل هذا ما حصنه وجنبه مما وقعت فيه كثير من مناطق العالم الإسلامي من ذهاب ريحها بسبب تفاقم النزاعات والجدال وظهور نحل وطوائف جنت على الأمة الإسلامية الكوارث ومزقتها شيعا. وبالتالي وإن طرحنا احتمال تدخل العامل السياسي في مسألة الإحراق، فإننا نركز على أهمية الخلفية الدينية في ذلك، باعتبار ما حواه كتاب الإحياء من أحاديث موضوعة أو ضعيفة وبدع لا أساس لها في الشرع وغيرها من المسائل التي أشرنا إليها من قبل، وهو ما أكده الإمام أحمد بن تيمية حين قال : "... الإحياء فيه فوائد كثيرة، لكن فيه مواد مذمومة فإنه فيه مواد فاسدة من كلام الفلاسفة تتعلق بالتوحيد والنبوة والميعاد، فإذا ذكر معارف الصوفية كان بمنزلة من أخذ عدوا للمسلمين ألبسه ثياب المسلمين، وقد أنكر أئمة الدين على أبي حامد هذا في كتبه، وقالوا مرضه "الشفاء" يعني شفاء إبن سينا في الفلسفة وفيه أحاديث وآثار ضعيفة بل موضوعة كثيرة، وفيه أشياء من أغاليط الصوفية وترهاتهم، وفيه مع ذلك من كلام المشايخ الصوفية العارفين المستقيمين، في أعمال القلوب الموافقة للكتاب والسنة، ومن غير ذلك من العبادات والأدب ما هو موافق للكتاب والسنة، ما هو أكثر مما يرد منه ..."[1].

كما ألمحنا سالفا، فقد تبنى المرابطون المذهب المالكي المتميز بمنهجه السني السلفي الذي يكره الخوض في الكلام والتأويل في أمور العقيدة، وذلك تأسيا بإمام دار الهجرة مالك بن أنس، وهو الذي لما سئل عن قوله تعالى : "ثم استوى على

---

1 - **الفتاوى**، ج.X، ص.٥٥١، نقلا عن بنصبيح، **المرابطون**، ص.١٠٨.

العرش"[١] : كيف استوى ؟ قال : الإستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة.[٢] ولعل هذا من بين الدواعي التي جعلت حكام صنهاجة يواجهون بشدة المذاهب المخالفة والآراء الدينية الكلامية، من ذلك ما أوردناه عن قضية إحراق كتب أو كتاب الإمام الغزالي، ثم حملتهم على المذهب الأشعري في وقت تبنته فيه جل المذاهب السنية بالشرق والغرب الإسلاميين.

ينسب المذهب الأشعري إلى أبي الحسن الأشعري (ت. ٣٢٤هـ) الذي كان معتزليا، وقد أخذ الإعتزال عن أبي علي الجبائي ثم تخلى عنه سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م. وكون كلاما سنيا لمجابهة الكلام المعتزلي.[٣] وقد وجد فيه بعض ممثلي التيار السني ضالتهم في الدفاع عن قناعاتهم ضد التيارات والفرق الكلامية الأخرى. وبذلك انتشر على نطاق واسع وفي أرجاء مختلفة من دار الإسلام، ومن ضمنها إفريقية لمجموعة من الأسباب.[٤] أما في المغرب الأقصى فلم يعرف إلا على نطاق ضيق جدا منذ أواخر ق.٤ هـ/ ١٠م. إذ خلال هذه المرحلة رحل إلى المشرق العالم أبو ميمونة دراس بن إسماعيل الجراوي الفاسي (ت.٣٥٧ هـ/ ٩٦٨م) واتصل هناك ببعض أئمة الأشاعرة، والذي تنسب له رسالة في الدفاع عن الأشعرية.[٥]

---

[١] - سورة الأعراف، الآية ٥٤ وغيرها.

[٢] - أبو العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، حققها وراجعها جماعة من العلماء، المكتب الإسلامي، بيروت، ط.٩، ١٩٨٨، ص.١٢٤.

[٣] - نجم الدين الهنتاتي، "تطور موقف علماء المالكية بإفريقية من الخوض في المسائل الكلامية وتبنيهم للعقيدة الأشعرية"، Ibla .T.٥٥، ع.١٧٠، ١٩٩٢، ص.٢٩٧.

[٤] - أنظر الهنتاتي، "تطور موقف علماء المالكية.."، ص.٢٩٧- ٣١١.

[٥] - محمد المغراوي، "تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي"، ضمن التاريخ والفقه، منشورات كلية الآداب-الرباط، سلسلة مناظرات (١٠٣)، ص.١٣٨.

حارب المرابطون الإتجاه الأشعري، إلا أن ذلك لم يحدث ضجة ولا تم ربط الأمر بسبب معين واضح أو بفتوى فقيه معين كما في حالة إحراق "الإحياء". والمؤكد أن هذه المحاربة انطلقت من قصر مراكش بتوجيه من الفقهاء المحيطين بعلي بن يوسف"،[١] والذين كانوا لا يرون حاجة إلى نشر الأشعرية على نطاق واسع، وباعتبارها تعتمد الخوض في المسائل الكلامية التي لا ينبغي أن يطلع عليها العامة الذين يصعب عليهم إدراك طرائق أصحابها في الاستدلال، وبذلك قد تشوش على أفهامهم وعقولهم.[٢]

كان النظام السياسي المرابطي يميل إلى التركيز على الجوانب العملية أكثر من النزوع إلى الجدل والمساجلات النظرية الفكرية وهو ما تمثل في اجتهادهم في توحيد البلاد مذهبيا وعقديا، والقضاء على كل الطوائف الدينية المخالفة للمذهب السني المالكي عبر طريق الجهاد والقوة، ولهذا بقيت العقيدة الأشعرية عقيدة بعض الأفراد، ولم تجد لها سندا إجتماعيا وسياسيا إلا فيما بعد حينما أعطاها المهدي بن تومرت دفعة قوية وغير مسبوقة في المغرب الأقصى.[٣]

شهد عصر المرابطين تيارين مالكيين متمايزين : الأول : سلفي محافظ موال للمرابطين يركز على عقيدة التسليم والتفويض، يشكل امتدادا لمدرسة نفيس وخريجها عبد الله بن ياسين. والثاني : أشعري أصولي كان مستعدا للانفتاح على التصوف والمستجدات الفكرية الوافدة ومثله كل من أبي بكر المرادي الحضرمي وأبي

١- المغراوي، "تطور المذهب الأشعري.."، ص.١٣٣.

٢- المغراوي، "تطور المذهب الأشعري.."، ص.١٣٩.

٢٢٤- أنظر بتفصيل : علي الإدريسي، "الأشعرية والإستقرار المذهبي بالمغرب"، ضمن ندوة المذاهب الإسلامية،ص.١٢١-١٤٥.

بكر بن العربي والقاضي عياض وغيرهم. ويظهر أنه وقع تدافع بين الاتجاهين، وعداء تعمق شرخه مع توالي الزمن. وإذا كانت الغلبة قد حالفت التيار المحافظ في مرحلة أولى، وذلك بنجاحه في إقناع الأمراء اللمتونيين بصواب موقفهم، فإن التيار الأشعري سيواصل نضاله الذي سيتقوى خاصة مع إحراق "الإحياء"، الذي يعتبر مؤلفه إماما من أئمة الأشاعرة والتصوف.[١] هذا ما استغله إبن تومرت سياسيا بمكر ودهاء، لكي يقلب موازين القوى "لصالح حزب الموحدين".[٢]

إن العقلية المحافظة التي كان يفكر بها المرابطون حجبت عنهم القدرة على استيعاب وفهم التحولات الفكرية بالساحة الإسلامية مشرقا ومغربا، فوقفوا ضد فكر الغزالي ومذهب الأشعرية. وبالرغم من أن موقفهم هذا كان نابعا من حرصهم على الحفاظ على الوحدة الدينية والمذهبية للمغاربة، فإن منهجهم في التعامل مع هذه المستجدات والمتغيرات كان تقليديا مباشرا، ولم يكن منهجا استيعابيا يتجاوز خلق صراع وعداء مجاني عام، فكانت النتيجة أن أوتي بنيانهم الديني والسياسي من القواعد، وأصبحوا خبرا بعد عين!

٢٢٥- المغراوي، "تطور المذهب الأشعري..."، ص.١٤٢-١٤٩.

٢٢٦- المغراوي، "تطور المذهب الأشعري..."، ص.١٤٩ / الإدريسي، "الأشعرية والإستقرار المذهبي بالمغرب"، ص.١٣٣.

الخاتمة

وبعد، كانت هذه مقاربة تاريخية لموضوع "**المدينة والسلطة بالمجال الإسلامي : المغرب نموذجا (ق.١-٥هـ/٧-١١م)**"، والتي تأسيسا عليها قمنا بتحليل تلك العلاقة الشاملة التي تربط المدينة بالسلطة في المغرب الأقصى خلال المرحلة المدروسة، وانطلقنا من إشكالية كبرى وهي أن المدينة بوثقة تتفاعل فيها الأحداث والأفكار والنظم، وأن السلطة عامل قوي ذو وظيفة معتبرة وحاسمة في تحديد هوية المدينة عمرانيا وسياسيا واجتماعيا ودينيا. ومن ثم حاولنا قدر الإمكان إبراز وتحليل وتفسير الروابط المتعددة الأبعاد التي جمعت بينهما ابتداء من الفتح الإسلامي إلى إرهاصات بداية ضعف حكم المرابطين.

إذا كنا قد سجلنا الاختلاف اللغوي والاصطلاحي لبعض المفاهيم العمرانية، فإننا نلحظ كذلك تنوع وتعدد أشكال العمران بالمغرب، بالإضافة إلى تأثره بالظروف التاريخية. وهكذا يبدو أن مرحلة الفتح، وإن كانت لم تغير من الثقل المجالي للظاهرة الحضرية، أو يتم خلالها تأسيس مدن جديدة، إلا أنها ساعدت بالتأكيد على خلق ظروف ملائمة للإمارات التي ستأتي فيما بعد لتشيد وتعمر ... خاصة بالنسبة للأدارسة. وما ميز مرحلة الدول المستقلة هو تغير مواقع المدن الكبرى من الساحل إلى الداخل، وبروز الجنوب"قوة عمرانية"ساهمت فيها تجارة القوافل والاستقلال السياسي النسبي، وستصبح فاس تدريجيا المدينة الرئيسة بفعل موقعها المتميز ... لكن إذا كان داخل البلاد قد تقوى على حساب السواحل، فإن ذلك لم يمنع من أن الشمال ما فتئ يحظى بأسبقيته وتقدمه على جنوب البلاد.

تشكل المرحلة المرابطية طورا جديدا من البناء والتعمير بالمغرب، حيث تزايدت حيوية الحركة العمرانية، رغم أن المرابطين لم تكن لهم إستراتيجية عمرانية في الشمال، بل ركزوا اهتمامهم أكثر على الجنوب، وتم ميلاد شبكة طرقية أكثر توسعا نتيجة الازدهار التجاري المتزايد مما أدى إلى ارتفاع وتيرة التمدين، وظهور المدن المحورية كقوة جذابة. وهكذا تأسست مراكش، وعرفت سجلماسة وفاس وغيرهما قفزة كبرى، كما استمر غنى الظاهرة الحضرية بعدة مجالات، وتبلورت مدن مهمة تمتد على خط محوري من الشمال إلى الجنوب كسبتة وفاس والداي وأغمات وسجلماسة ونول لمطة ... وقد اكتملت الشبكة الحضرية بإنشاء مراكش التي أصبحت قاعدة الجنوب.

وحد الملثمون المغرب سياسيا وكرسوا الأمن، فنمت التجارة وازدهرت الفلاحة والحرف، وبالتالي تطور العمران الحضري، وبرزت إلى الوجود مدن محورية كبرى قامت بوظائف وأدوار مهمة. ولم يقتصر اهتمامهم على مراكش وفاس، بل قاموا ببناء وترميم مجموعة من المدن وإضافة مجموعة من المعالم العمرانية، فقد شيدوا مدينة بني زياد والقصر وتاقررت وشيشاوة وتجيت وتدنست وتاكولت وأم الربيع ومقول وغيرها.

عموما فإن الفترة ما بين ق.١-٥هـ/٧-١١م عرفت محافظة شمال المغرب على تقدمه التمديني، لكن بالمقابل عرف الجنوب انتعاشا حضريا ساهمت فيه بشكل أساس تجارة القوافل الصحراوية. كما تحولت تدريجيا القواعد الكبرى من الساحل نحو الداخل، ومن الشمال نحو الوسط والجنوب.

يمكن تصنيف المدينة المغربية سياسيا إلى مدينة حاكمة ومدينة خاضعة ثم أخرى متمردة : فالمدينة الحاكمة تمثل قاعدة السلطة التي ترتكز عليها، وجذورها

التي تتفرع عن طريق ضم مدن جديدة في جميع الاتجاهات الممكنة باستمرار، والمدينة الخاضعة تقبل التبعية وتؤدي فروض الطاعة والولاء ولو نسبيا، وخاصة في أوج قوة السلطة الحاكمة،وقد تكون المصالح متبادلة،فـ"الخدمات" المرتبطة بالأمن والحماية، مقابل الخضوع المطلق وأداء الضرائب، لكن يحدث أن تتمرد المدينة سواء في المبتدأ، أو عندما يصبح لكل وجهة هو موليها، نتيجة اختلاف مذهبي، قبلي، سياسي، اقتصادي...

تظافرت عدة عوامل في نشأة وتطور المدينة المغربية، وخاصة منها العوامل السياسية التي كانت سببا مباشرا في بروز المدن القواعد، ثم باقي المدن بما حققته من أمن وآمان واستقرار، كما لعبت العوامل الاقتصادية دورا لافتا، حيث ظهرت عدة مدن ارتبطت بالتطور الاقتصادي العام الذي عرفه المغرب في الفترة المدروسة، سواء في جانبه الفلاحي والحرفي أو في جانبه التجاري خصوصا ما يرتبط بالتجارة مع السودان، إضافة إلى الإستغلال المنجمي، دون أن ننسى الدور الديني والجهادي عموما .

يتضح أن المدينة في علاقتها بالموضع والموقع ارتكزت على ثلاثة أسس : طبيعية واقتصادية وأمنية، والتي تباين مستوى الاعتماد عليها حسب خصوصية ظروف المرحلة التاريخية، وحسب طبيعة المدينة في حد ذاتها وطبيعة وظائفها وأدوارها. والملاحظ أن العديد من المدن المغربية بعد الفتح الإسلامي ظهرت على أنقاض مدن قديمة، وكأنها طرحت نفسها بديلا عنها في إطار دورة العمران مقابل دورة الخراب، ولهذا كانت مواقعها قريبة منها. وعموما فإن نشأة المدينة المغربية خلال الفترة المدروسة جاء وليد لرؤية عمرانية إستراتيجية، ارتكزت على عدة مبادئ، وتفاعلت عبرها مؤثرات محلية وخارجية، ساهمت في تبلورها وأدائها لوظائفها.

تميزت السلطة المغربية خلال الفترة المدروسة بتراوحها بين الاستقلال والتبعية الخارجية، وبضيق مجال تداولها، وبتأثرها بنظام القبيلة التقليدي، إذ أنها في حد ذاتها "ظاهرة بدوية قبلية"، فمن المعلوم أنها انبثقت في وسط قبلي تملكه الإحساس بالانتماء العرقي المشترك (العصبية)، كما تتميز هذه السلطة بانتقالها عبر نظام وراثي يكاد لا يأخذ بعين الإعتبار القدرات القيادية والتدبيرية والشخصية التي يجب توفرها في رجالات الحكم، وتستمد أيضا قوتها من الصفات المقدسة التي يتحلى بها الأمير أو الإمام، والتي تسعفه في الإنفراد والاستبداد بالأمور الدنيوية والأخروية.

تنبني السلطة على القوة لتحقيق وجودها رضمان استمرارها، سواء تعلق الأمر بالقوة البشرية والاجتماعية أو تلك المستمدة من الشرعية الدينية، أو المرتكزة على الموارد الاقتصادية والمالية والمادية... لهذا فكلما استطاعت السلطة الحاكمة أن تحافظ على لحمة عصبيتها ومكوناتها الاجتماعية والقبلية، مع انفتاحها على قوى جديدة من القبائل والموالي و"المصطنعين"، إلا ومكنها ذلك من اكتساب مناعة من التفكك والإضطراب وأهلها للإستمرار في الوجود.

يلاحظ أن كل الدعوات الإصلاحية كان محورها الأكبر هو إقامة الحكم على أسس دينية تتمثل في نشر مبادئ الإسلام الصحيح ومواجهة كل أشكال الانحرافات والبدع ... ومن جهة أخرى، فبما أن كل سلطة هي قوة وعنف وغلبة، فإنها كانت محتاجة دوما إلى "شرعنة" سلوكها ونهجها القهري، ولهذا كان الدين حاضرا دوما أيضا باعتباره ركنا متينا لكل كيان سياسي. فنشر الإسلام وتغيير المنكرات وإقامة العدل ومحاربة الزيغ ...كلها مثلت قاعدة للمشروعية الدينية لزعماء الفترة المدروسة. وعموما فالإصلاح الديني والعقدي خلال العصر الوسيط أجمع كان الوسيلة الفعالة لبناء السلطة السياسية.

المال عصب حياة السلطة، ولهذا اعتمدت مختلف السلطات المغربية منذ تكونها على موارد متنوعة، كغنائم الحرب والغزو والضرائب المفروضة على التجارة سواء الداخلية أو الخارجية. وتميزت الموارد الاقتصادية للسلطة بعدم الانتظام، وذلك حسب مدى قوتها أو ضعفها، ومدى امتدادها ونفوذها، والظروف المحيطة بها والمرحلة التي تمر منها. فالجباية مثلا، تطورت بتطور الدولة وتزايد نفقاتها العسكرية وحاجاتها المتعددة التي تتضخم باستمرار، ولهذا فهي تنتقل من الاكتفاء بالواجبات المالية الشرعية إلى فرض الضرائب غير الشرعية، خاصة على أهل المدن أو من تستطيع السلطة الوصول إليه والتحكم فيه من المناطق القريبة، عكس الأطراف التي تحاول جاهدة التملص من المكوس، وبصفة أخص في دور هرم الدولة وعجزها.

تعتمد السلطة كل الوسائل والأساليب المادية والمعنوية التي تراها مناسبة وجديرة بتحقيق غايتها في التحكم وبسط النفوذ على المجال وتدبيره، لكن أي خلل أو ضعف تسرب إلى هذه الوسائل ينعكس تأثيره سلبا على قوة السلطة، وقد يفقدها تماسكها وانسجامها، فتظهر مراكز جذب من الداخل، أو تبرز قوى سياسية أخرى جديدة وناشئة تحاول استغلال هذا الضعف وتكريسه بتوجيه سهمها إلى السلطة الحاكمة التي بدأت تهرم وتشيخ، ولهذا تبدأ مرحلة جديدة تطبعها كثرة الصراعات وتفاقمها.

تشكل مسألة الصراع السياسي ظاهرة أساسية خلال الفترة المدروسة، ذلك لأن هذا الصراع لا يلبث أن يحسم بتغلب عصبية على أخرى، حتى يتحول إلى تنافس بين أطراف العصبية المنتصرة الحاكمة نفسها. وتساهم العوامل المذهبية والقبلية والطموحات السياسية والاقتصادية في تأجيج الصراعات واستمرارها، والتي تنعكس على المدينة بالسلب .

إن السلطة الحاكمة بالمغرب – خلال المرحلة التي يعالجها البحث – قد ساهمت في إحداث تحولات في الخريطة البشرية بالمدينة المغربية والمجال الذي هيمنت عليه بصفة أعم، كما أن تبلورها ونموها وتجذرها ساهم في تطور المدينة في أبعادها المختلفة، مما شجع الهجرة البدوية إليها، وساعد على تمدن السكان وانفتاحهم على المؤثرات الحضارية الخارجية خاصة في العصر المرابطي. أما علاقة السلطة بالفئات الاجتماعية، فتباينت حسب نوعية الجهاز الحاكم نفسه وطبيعة الفئة الاجتماعية، وكذلك حسب المرحلة التاريخية والوضعية العامة للبلاد.

قامت السلطة في علاقتها الاقتصادية بالمدن بوظيفة مزدوجة، إذ لعبت دورا إيجابيا من خلال أخذها بعين الاعتبار البعد الاقتصادي في تخطيط المدينة وإمكانية ازدهارها اقتصاديا، ومن خلال تشييدها للمرافق والتجهيزات والأسواق، وتوطيد الأمن والإعفاءات الجبائية وتنظيم التجارة ..إلخ، وهو ما يتيح إمكانية تنشيط الحركة التجارية وتدفق السلع الحرفية والفلاحية وتطور الصناعات والحرف، ومما ينعكس إيجابا على كل الشرائح الاجتماعية، بل ويدعم الأسس المادية التي تقوم عليها السلطة وتنمي مواردها ومداخيلها المالية.

نؤكد أن العلاقة الاقتصادية بين السلطة والمدينة المغربية اتخذت وجهين : فحينما تظهر سلطة جديدة قوية وقادرة، تفرض الأمن وتحقق الاستقرار وتشيد المرافق والتجهيزات ... وبفعل رفعها لشعار الإصلاح وقلة احتياجاتها المالية تقتصر في جباياتها على ما أوجبه الشرع، مما يسمح للناس بالعمل والإنتاج، وبالتالي تنشط الحركة التجارية وتزدهر معها الأنشطة الحرفية والفلاحية المرتبطة بها، فيسعد المجتمع بالرخاء و تغنم السلطة بالأموال. لكن بالمقابل فكلما تجذرت أجهزة النظام الحاكم وتوسعت مجالات هيمنته وتحركاته العسكرية وتنوعت اهتماماته وتزايدت

حاجياته، كلما ارتفعت الضرائب وتنوعت لتحقيق المراد، فتثقل كاهل رجال الاقتصاد، مما يؤدي إلى عجزهم عن الكد والعمل فتبور الأسواق وتكسد التجارات وغيرها، وهو ما ينذر باختلال أوضاع السلطة والمدينة.

ساهمت عوامل وأحداث في بلورة مذاهب عقدية وفقهية وسياسية بالعالم الإسلامي، والتي انتقل صداها إلى المغرب. فمع الفتح الإسلامي انتشرت بهذا الأخير مذاهب فقهية دعوية، ثم مذاهب فكرية سياسية مناوئة للخلافة بالمشرق، والتي من أبرزها فرقة الخوارج التي أشعلت نار الثورات ضد سلوك ولاة بني أمية، وانتقلت من الطابع الإجتماعي إلى طابعها السياسي بنجاحها في تأسيس إمارة سجلماسة وتامسنا. ثم تمكنت الدعوة الشيعية من إيجاد موقع لها ضمن الخريطة المذهبية للمغرب مع الأدارسة والبجليين والفاطميين، قبل أن يتمكن المرابطون من فرض وتعميم المذهب المالكي السني بالقوة، بعدما كان محصورا في مناطق ورباطات ... وحاربوا التصوف والعقيدة الأشعرية والمذاهب المنحرفة، وبقيت أصداء هذه الحرب مسطرة في سجل التاريخ، والتي من أبرزها ما عرف بمسألة "إحراق الإحياء" ثم الصراع بين التيار المالكي السلفي ونظيره الأشعري داخل علماء المرابطين، مما أحدث شرخا عميقا في بنيانهم وسرع بالإطاحة بسلطتهم وهي في قمة نضجها !

إن العقلية المحافظة التي كان يفكر بها المرابطون حجبت عنهم القدرة على استيعاب وفهم التحولات الفكرية بالساحة الإسلامية مشرقا ومغربا، فوقفوا ضد فكر الغزالي ومذهب الأشعرية. وبالرغم من أن موقفهم هذا كان نابعا من حرصهم على الحفاظ على الوحدة الدينية والمذهبية، فإن منهجهم في التعامل مع هذه المستجدات والتغيرات كان تقليديا مباشرا، ولم يكن منهجا استيعابيا يتجاوز خلق

صراع وعداء مجاني عام، فكانت النتيجة أن نسف صرحهم الديني والسياسي من أركانه.

obeikandl.com

البيبليوغرافيا

I – المصادر بالعربية

- إبن أبي زرع علي الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٩٩.

- إبن الأثير علي بن محمد، **الكامل في التاريخ**، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨.

- إبن الأحمر إسماعيل، **بيوتات فاس الكبرى**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢.

- إبن القطان حسن بن علي الكتامي المراكشي، **نظم الجمان**، تحقيق محمود علي مكي، المطبعة المهدية، تطوان.

- إبن حوقل أبو القاسم النصيبي، **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٩٢.

- إبن حيان الأندلسي، **المقتبس في تاريخ الأندلس**، تحقيق عبدالرحمن الحجي، بيروت، ١٩٨٣.

- إبن خلدون عبد الرحمان، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨.

- إبن خلدون عبد الرحمان، **المقدمة**، تحقيق درويش جويدي، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ٢٠٠٢.

- إبن سعيد المغربي، **كتاب الجعرافيا**، تحقيق إسماعيل لعربي، ١٩٨٢.

- إبن عبد الحكم عبد الرحمان بن عبد الله ، **فتوح إفريقيا والأندلس**، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، مكتبة المدرسة و دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦٤.

- إبن عذاري المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (ج.I)**، تحقيق ومراجعة ج.س.كولان و إ. ليفي بروفنصال، دار الثقافة، بيروت.

- إبن عذاري المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (ج.IV)**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط.٥، ١٩٩٨.

- إبن غازي أبو عبد الله محمد، **الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون**، تحقيق عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط.٢،١٩٨٣.

- إبن منظور الإفريقي، **لسان العرب**، دار الفكر - دار صادر، بيروت.

- أبو القاسم الزياني، **الترجمانة الكبرى**،حققه وعلق عليه عبد الكريم الفيلالي ،دار النشر المعرفة ، الرباط، ١٩٩١

- الإدريسي الشريف، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٤.

- الإصطخري إبراهيم الكرخي، **المسالك والممالك**، دار القلم، القاهرة،١٩٦١.

- الأنصاري محمد، **اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار**، تحقيق عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط.٢، ١٩٨٣.

- البكري أبو عبيد، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، مطبعة أدولف جودران، ط.٢، ١٩١١.

- البكري أبو عبيد، **المسالك والممالك**، دار الكتب العلمية، بيرت، لبنان، ط.١، ٢٠٠٣.

- البيدق أبو بكر، **كتاب أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين**، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المطبعة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٦.

- الجزنائي علي، **جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، تحقيق عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط.٢، ١٩٩١.

- الحميري محمد عبد المنعم، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط. ٢، ١٩٨٤.

- الحنفي أبو العز، **شرح العقيدة الطحاوية**، حققها وراجعها جماعة من العلماء، المكتب الإسلامي، بيروت، ط.٩، ١٩٨٨.

- الزهري محمد بن أبي بكر، **كتاب الجعرافية**، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية.

- الطبري محمد بن جرير، **تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت.

- العبدري محمد الحيحي، **الرحلة المغربية**، تحقيق محمد الفاسي، نشر وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، سلسلة الرحلات رقم٤، الرباط، ١٩٦٨.

- الغزالي أبو حامد، **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة، بيروت.

- القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، دار الكتب الخديوية / المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩١٥.

- المرادي أبو بكر محمد الحضرمي،كتاب السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة، تحقيق سامي النشار، دار الثقافة، البيضاء، ط.١، ١٩٨١.

- المراكشي عبد الواحد، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.٢، ٢٠٠٥.

- المقدسي محمد بن أحمد، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، دار السويدي- أبو ظبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ط.١، ٢٠٠٣.

- الناصري أحمد بن خالد، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، منشورات وزارة الثقافة والإتصال، المغرب، ٢٠٠١

- الوزان الحسن، **وصف إفريقيا**، تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ٢ ، ١٩٨٣.

- اليعقوبي أحمد بن واضح، **كتاب البلدان**، المطبعة الحيدرية، النجف، ط.٣.

- عياض القاضي، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تحقيق سعيد أحمد أعراب، مطابع الشويخ، تطوان، ١٩٨٣.

openkandil.com

- مؤلف مجهول، **الإستبصار في عجائب الأمصار**، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، البيضاء، ١٩٨٥.

- مؤلف مجهول، **الحلل والموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، البيضاء، ١٩٧٩.

- مارمول كربخال، **إفريقيا**، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار المعرفة، الرباط، ١٩٨٩.

II ـ المراجع بالعربية

- أبراش إبراهيم ، تاريخ المؤسسات والوقائع الاجتماعية : من شريعة الغاب إلى دولة المؤسسات، شركة بابل، الرباط، ١٩٩٨.

- أبوضيف مصطفى، **أثر القبائل العربية في الحياة المغربية : منذ الفتح العربي إلى سقوط الدولة المستقلة (٢٣-٢٩٦هـ/ ٦٤٣-٩٠٩م)**، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ط.١، ١٩٨٦.

- أحمد عبد المنعم، **تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٦.

- أزايكو علي صدقي، **تاريخ المغرب أو التأويلات الممكنة**، مركز طارق بن زياد، أمبريال، ط.١، ٢٠٠٢.

- إسماعيل محمود، **الأدارسة (١٧٢-٣٧٥ هـ) : حقائق جديدة**، مكتبة مدبولي، القاهرة.

obeikandl.com

- إسماعيل محمود، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف ق.٤هـ، دار الثقافة، البيضاء، ط.١، ١٩٧٦.

- بن صبيح عبد الواحد، **المرابطون (بحث في المكونات السياقية)**، مكتبة سلمى الثقافية، ط.١، ٢٠٠٦.

- الجباري عبد الرحيم ، **أصيلا: تاريخ وأعلام**، Service Graphic، ط.١، ١٩٩٩.

- الجنحاني الحبيب، **المجتمع العربي الإسلامي: الحياة الإقتصادية والإجتماعية**، سلسلة عالم المعرفة، ع.٣١٩، شتنبر ٢٠٠٥.

- الجنحاني الحبيب، **دراسات في التاريخ الإقتصادي والإجتماعي للمغرب الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط.٢، ١٩٨٦.

- الجيدي عمر، **مباحث في المذهب المالكي بالمغرب**، مطبعة المعارف الجديدة والهلال العربية للطباعة والنشر، الرباط، ط.١، ١٩٩٣.

- السبتي عبد الأحد وفرحات حليمة، **المدينة في العصر الوسيط : قضايا ووثائق من تاريخ الغرب الإسلامي**، المركز الثقافي العربي، ط.١، ١٩٩٤.

- الصلابي محمد علي، **الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط.١، ٢٠٠٣.

- الصلابي محمد علي، **الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط.١، ٢٠٠٣.

- الطاهري أحمد، **إمارة بني صالح في نكور**، النجاح الجديدة، ط. ١، ١٩٩٨.

obeikandl.com

- الطاهري أحمد، **المغرب الأقصى ومملكة بني طريف البورغواطية خلال القرون الأربع الهجرية الأولى**، النجاح الجديدة، البيضاء، ط.١، ٢٠٠٥.

- العبادي أحمد مختار، **في تاريخ المغرب والأندلس**، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية.

- العروي عبدا لله، **مجمل تاريخ المغرب**، المركز الثقافي العربي، ط.٢، ٢٠٠٠.

- القبلي محمد، الدولة والولاية والمجال في المغرب الوسيط-علائق وتفاعل، دار توبقال للنشر، البيضاء، ط.١،١٩٩٧.

- المنظمة العربية للتنمية الإدارية، جامعة الدول العربية، **موسوعة الإدارة العربية الإسلامية**، المجلد الثالث.

- الموسوي مصطفى عباس، **العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية**، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة دراسات ٢٩٥، ١٩٨٢.

- الزعفراني حاييم ، **ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب : تاريخ - ثقافة - دين**، ترجمة أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، دار قرطبة، البيضاء، ط.١، ١٩٨٧.

- بنسباع مصطفى، **السلطة بين التسنن و"التشيع" والتصوف ما بين عصري المرابطين والموحدين**، مطابع الشويخ، تطوان، ط.١، ١٩٩٩.

- بوتشيش إبراهيم القادري، **تاريخ الغرب الإسلامي : قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة**، دار الطليعة، بيروت، ط.١، ١٩٩٤.

obeikandl.com

- بوتشيش إبراهيم القادري، **مباحث في التاريخ الإقتصادي والإجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين**، دار الطليعة، بيروت، ط.١، ١٩٩٨.

- بوزياني الدراجي، **دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس**، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط. ١، ٢٠٠٠.

- حافظي علوي حسن، **سجلماسة وإقليمها في ق.٨هـ/ ١٤م**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط،١٩٩٧ .

- حركات إبراهيم، **المغرب عبر التاريخ**، دار الرشاد لحديثة، البيضاء، ط.٢، ١٩٨٤.

- حسن أحمد محمود، **قيام دولة المرابطين**، دار الفكر العربي، القاهرة.

- حمدي عبد المنعم حسين، **التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٧.

- حمدي عبد المنعم حسين، **تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين : دولة علي بن يوسف المرابطي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٦.

- جوليان شارل أندري ، **تاريخ إفريقيا الشمالية**، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر/ الحركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٨.

- رضا محمد سعيد، دراسة في الأحوال الحضارية للبصرة المغربية وعلاقتها بالبصرة العراقية، دار الحكمة، سلسلة تراث البصرة (٢)، ١٩٩٠.

- زنيبر محمد ، **المدينة في العصر الوسيط : الدولة - المدينة - الاقتصاد**، تنسيق محمد المغراوي، سلسلة بحوث ودراسات رقم ٢٤، منشورات كلية الآداب - الرباط.

- زكي أحمد، معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٧.

- سعدون عباس نصر الله، **دولة الأدارسة في المغرب : العصر الذهبي (١٧٢ – ٦٦٣ هـ/ ٧٨٨-٨٣٥م)**، دار النهضة العربية، بيروت، ط.١، ١٩٨٧.

- شقير محمد، **التنظيمات السياسية بالمغرب**، منشورات المجلة المغربية لعلم الإجتماع السياسي، مطبعة المعارف الجديدة، البيضاء، ١٩٩٣.

- شقير محمد، **تطور الدولة في المغرب : إشكالية التكون والتمركز والهيمنة (من القرن الثالث ق.م. إلى القرن العشرين)**، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء/ بيروت، ٢٠٠٢.

- عثمان عبد الستار، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، ع. ١٢٨،١٩٨٨.

- عزب خالد محمد، **تخطيط وعمارة المدن الإسلامية**، سلسلة كتاب الأمة، ع. ٥٨، ١٩٩٧.

- عشاق مولود، حركة المتنبئين بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط، الأحمدي للنشر، البيضاء، ط.١، ١٩٩٩.

- عمر محمد، سلطة الدولة في تنظيم الحقوق، النجاح الجديدة، البيضاء، ط.١، ١٩٩٩.

- عنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط.٣، ١٩٦٠.

- عنان محمد عبد الله، **عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس**، القسم الأول، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط.١، ١٩٦٤.

- عزاوي أحمد ، **مختصر تاريخ الغرب الإسلامي (ج.I)**، ربانيت، الرباط،٢٠٠٧.

obeikandi.com

- فهمي سعد، **العامة في بغداد في ق.٣و٤هـ : دراسة في التاريخ الاجتماعي**، دار المنتخب العربي، بيروت، ط.١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

- فيلالي عبد العزيز ، **المظاهر الكبرى في عصر الولاة ببلاد المغرب والأندلس**، دار المعارف، سوسة - تونس، ١٩٩١.

- كريمي ماجدة، **تجارة القوافل : آثار وبصمات على تاريخ دول المغرب الوسيط**، دار نشر الجسور، وجدة، ط. ١ ،١٩٩٦.

- گلاوي محمد، **المجتمع والسلطة : دراسة في إشكالية التكوين التاريخي والسياسي للمؤسسات والوقائع الاجتماعية**، النجاح الجديدة، البيضاء، ط.١، ١٩٩٥.

- لوتورنو روجي، **فاس قبل الحماية**، تعريب محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٥.

- محمد أحمد غنيم، **دراسة في الأنتروبولوجيا الحضرية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٧.

- محمد حسن، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، منشورات جامعة تونس الأولى، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، سلسلة : تاريخ٤، المجلد ٢٢، ١٩٩٩.

- محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨

- موريس دوفرجيه، **علم اجتماع السياسة**، ترجمة سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط.١، ١٩٩١.

- ناجي عبد الجبار ، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط.١، ٢٠٠١.

- ناصف عبد الله، **السلطة السياسية : ضرورتها وطبيعتها**، دار النهضة العربية، القاهرة.

- هوبكنز ج.ف.ب، **النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى**، ترجمة أمين توفيق الطيبي، شركة النشر والتوزيع المدارس، البيضاء، ط.٢، ١٩٩٩.

- ولد داداه محمد، **مفهوم الملك في المغرب من انتصاف القرن الأول إلى انتصاف القرن السابع – دراسة في التاريخ السياسي**، دار الكتاب اللبناني- بيروت/ دار الكتاب المصري، القاهرة، ط.١،١٩٧٧.

III- الرسائل والأطروحات:

- إبن حمادي عمر، **الفقهاء في عصر المرابطين**، شهادة التعمق في البحث،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس،١٩٨٧ .

- الشنوفي إدريس، **النشاط التجاري لمدينة فاس في العصر المريني**، د.د.ع.م. في التاريخ،كلية الآداب- سايس، فاس، ٢٠٠٠-٢٠٠١.

- المغراوي محمد، **العلماء والصلحاء والسلطة بالمغرب و الأندلس في عصر الموحدين**، أطروحة في التاريخ،كلية الآداب- الرباط، ٢٠٠٠/٢٠٠١.

- أمليد محمد، **المدن الإدريسية منذ أواخر ق.٢ إلى نهاية ق.٤ : دراسة تحليلية تركيبية**، د.د.ع.في التاريخ،كلية الآداب- الرباط.١٩٩٧-١٩٩٨.

- بزاوي الكبير، **المدن والتجارة والسلطة السياسية بالمغرب الأقصى في العصر الوسيط (منتصف ق. ٢- منتصف ق. ٦هـ)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ،كلية الآداب- الرباط، ٢٠٠٢-٢٠٠٣.

- بزاوي الكبير، **دور الدعوة في نشأة الدولة المغربية**، د.د.ع. في التاريخ،كلية الآداب- الرباط، ١٩٨٦-١٩٨٧.

- بوتشيش إبراهيم القادري، **الحياة الاجتماعية في المغرب والأندلس خلال عصر المرابطين**، أطروحة دكتوراه في التاريخ،كلية الآداب- مكناس، ١٩٩٠-١٩٩١.

- بيصعين عبد الكريم، **الصراع الأموي الفاطمي في المغرب الأقصى (ق.٤ هـ/ ١٠م)**، د.د.ع. في التاريخ،كلية الآداب- فاس، ١٩٨٣-١٩٨٤.

- دروا محمد، **المدينة في تاريخ المغرب - دراسة مجملة -** ، أطروحة دكتوراه في التاريخ،كلية الآداب- الرباط،٢٠٠٢-٢٠٠٣.

- رضوان مبارك، **المذهب المالكي بالمغرب في عهد المرابطين و الموحدين**، د.د.ع.في التاريخ،كلية الآداب- الرباط، ١٩٩٥-١٩٩٦.

- شقرون الياقوت، **فاس والأزمة في العصر الوسيط**، د.د.ع. المعمقة في التاريخ،كلية الآداب-سايس، فاس، ٢٠٠٠-٢٠٠١.

- عمراني محمد، **الشرف والمجتمع والسلطة السياسية : الشمال الغربي المغربي نموذجا (من ق١٠ إلى ١٣ هـ/ ١٦-١٩م)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ،كلية الآداب- الرباط، ٢٠٠٠-٢٠٠١.

- غازي سعيد جرادة، **الحياة الاقتصادية والاجتماعية في العصر المرابطي بالمغرب**، أطروحة دكتوراه في التاريخ،كلية الآداب- الرباط، ١٩٩١.

- هرام خديجة، **التطور التاريخي لمدينة وجدة خلال العصر الوسيط : دراسة جغرافية وسياسية واقتصادية واجتماعية**، د.د.ع.م. في التاريخ، كلية الآداب- سايس، فاس، ٢٠٠٠-٢٠٠١.

IV- المقالات بالعربية

- أبو العزم عبد الغني ، معالم المدينة الإسلامي : نموذج مراكش، ضمن "مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي"، أشغال الملتقى الأول، جامعة القاضي عياض، مطبعة فضالة، المحمدية، ط.١،١٩٨٩.

- أسامة طلعت عبد المنعم، أسوار وقلاع الأندلس، مجلة المنهل،ع.٥٧١، المجلد ٦١، يناير- فبراير ٢٠٠١ .

- اسعادة الشيخ، فجر العمران الإسلامي ببلاد المغرب، مجلة كلية الآداب- وجدة،ع.٢، ١٩٩١.

- إبن شريفة محمد، أوائل الإفتاء والمفتين بالمغرب، ضمن "التاريخ وأدب النوازل"، منشورات كلية الآداب- ، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ٤٦ .

- الإدريسي علي، الأشعرية والاستقرار المذهبي بالمغرب، ضمن "المذاهب الإسلامية ببلاد المغرب: من التعدد إلى الوحدة"، منشورات كلية الآداب- الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ١٤٧.

obeikandl.com

- التازي عبد الهادي، زيري بن عطية وسياسته الخارجية، ضمن "المغرب الشرقي بين الماضي والحاضر: الوسط الطبيعي، التاريخ، الثقافة"، منشورات كلية الآداب- وجدة، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ٢.

- الدبيش عبد الوهاب، توزيع المرافق الإقتصادية بفاس المرينية، ضمن "أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب"،ج.٢، كلية الآداب-عين الشق، البيضاء،١٩٨٨

- الحبابي محمد عزيز، الدينامية المحركة للتاريخ عند إبن خلدون، ترجمة فاطمة الجامعي الحبابي، ضمن "الفكر الاجتماعي الخلدوني : المنهج والمفاهيم والأزمة المغربية"، سلسلة كتب المستقبل العربي (٣١)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط.١، ٢٠٠٤.

- السلامي رشيد، حول المرجعية المذهبية والتاريخية لبرغواطة، ضمن "المذاهب الإسلامية ببلاد المغرب : من التعدد إلى الوحدة"، منشورات كلية الآداب- الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ١٤٧.

- السلامي رشيد، ملاحظات حول اتخاذ يوسف بن تاشفين لقب أمير المسلمين، ضمن ندوة "يوسف بن تاشفين"، سلسلة منشورات مؤسسة البشير، ع.١،٢٠٠٠.

- السهلي العربي، المدراريون في سجلماسة، ضمن ندوة : "سجلماسة تاريخيا وأثريا"، نشر وزارة الثقافة، مطابع ميثاق المغرب.

- الشيخلي صباح إبراهيم، النشاط التجاري في بلاد المغرب خلال ق.٤هـ/ ١٠م، التاريخ العربي، ع.٦، ربيع ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨م.

- الشيخلي صباح إبراهيم، حقائق جديدة عن الحركة المرابطية : اندفاع المرابطين إلى المغرب الأقصى، المؤرخ العربي، ع.٢٧، س.١٢ (١٩٨٦).

- الصغير عبد المجيد، البعد السياسي في نقد إبن العربي لتصوف الغزالي، ضمن "ندوة أبي حامد الغزالي"، منشورات كلية الآداب- الرباط، ١٩٨٨.

- الطاهري أحمد، بلاد الريف : المصطلح والعمران من خلال المصادر العربية، ضمن"التمدين والتعمير في جبال الريف بالمغرب، منشورات مجموعة البحث الجغرافي حول جبال الريف، سلسلة دراسات مجالية رقم١، ط. ١، ٢٠٠٠.

- الطويل محمد حجاج، من تامسنا إلى الشاوية، ضمن "البادية عبر تاريخ المغرب"، تنسيق إبراهيم بوطالب، منشورات كلية الآداب- الرباط، ١٩٩٩.

- العافية عبد القادر، السوق في المدينة الإسلامية، مجلة كلية الشريعة،ع.٢١، ١٤١٧هـ.

- العاملي محمد، "داي" أو "أوداي" من خلال مصادر العصر الوسيط، ضمن "تادلا : التاريخ، المجال، الثقافة"، منشورات كلية الآداب- بني ملال، سلسلة ندوات ومناظرات رقم١، ١٩٩٣.

- العبادي أحمد مختار، السياسة الفاطمية نحو المغرب والأندلس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد٥،ع.١-٢،١٩٥٧.

- العبادي أحمد مختار، من مظاهر الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية، عالم الفكر، المجلد١١، ع.١، ١٩٨٠.

- القاضي وداد، الشيعة البجلية بالمغرب الأقصى، ضمن أشغال "المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي وحضارته"، ج.I، الجامعة التونسية، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، السلسلة التاريخية (١)، ١٩٧٩.

- القبلي محمد، حول الإصلاح وإعادة الإصلاح بالمغرب الوسيط، المناهل،ع.٦٩-٧٠، س.٢٦، يناير ٢٠٠٤.

- القبلي محمد، رمز "الإحياء" وقضية الحكم في المغرب الوسيط، ضمن "مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط"، دار توبقال للنشر، البيضاء، ط.١،١٩٨٧.

- القبلي محمد، ملاحظات حول التجارب الوحدوية الوسيطية بالمغرب الكبير، ضمن "مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط"، دار توبقال، ط.١، ١٩٨٧.

- الكتبية سعاد، البنية الاقتصادية لطوائف يهود المغرب الأقصى في العصر الوسيط، مجلة كلية الآداب-بني ملال،ع.٣، ٢٠٠١.

- المغراوي محمد، تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي، ضمن "التاريخ والفقه"، منشورات كلية الآداب- الرباط، سلسلة مناظرات (١٠٣).

- المغراوي محمد، مدينة قصر كتامة من الأصول إلى نهاية عصر الموحدين، ضمن "مدينة القصر الكبير، الذاكرة والحاضر"، منشورات مجموعة الدراسات والأبحاث حول القصر الكبير، سلسلة الندوات رقم١، ط.١، ٢٠٠١.

- المنوني محمد، مدائن مكناسة القديمة من العصر الإدريسي إلى أواخر الموحدين، البحث العلمي، ع.٣٧، ١٩٨٧.

- الهنتاتي نجم الدين، تطور موقف علماء المالكية بإفريقية من الخوض في المسائل الكلامية وتبنيهم للعقيدة الأشعرية، Ibla .T.٥٥، ع.١٧٠، ١٩٩٢.

- اليعقوبي البدراوي محمد، إحراق "كتاب الإحياء" في الغرب الإسلامي، المنهل، مجلة تصدرها وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط، ع.٩، ص.٣١٨.

- بنمنصور عبد الوهاب، أصيلة عبر التاريخ، المناهل، ع.١٦، س.٦، محرم ١٤٠٠/ دجنبر ١٩٧٩.

- بنميرة عمر، فتاوى سياسية من العصر المرابطي: قضية استنزال ملوك الطوائف، ضمن "ندوة يوسف بن تاشفين"، سلسلة منشورات مؤسسة البشير، ع.١، ٢٠٠٠.

- بوتشيش إبراهيم القادري، ظاهرة استبداد الدولة في العصر المرابطي، مجلة أمل، ع.٢١، ١٩٩٩.

- بوتشيش إبراهيم القادري، مسألة بناء الكنائس بالمغرب الأقصى خلال عصر المرابطين (من منتصف القرن١١ إلى القرن ١٢م)، ضمن "الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى"، منشورات كلية الآداب- الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ٤٨.

- بوتشيش إبراهيم القادري، مساهمة في دراسة تطور تجارة مكناسة في "العصر الوسيط"، مجلة كلية الآداب-مكناس، ع.٣، ١٩٨٩.

- بوتشيش إبراهيم القادري، وجدة والمدينة الأوربية الوسيطية، مجلة كلية الآداب- وجدة، ع.٣، ١٩٩٢.

- بولقطيب الحسين، أسس ومكونات الدولة المغربية في العصر الوسيط : الدولة الموحدية نموذجا، مجلة أبحاث،ع.٢٤-٢٥، ١٩٩٠.

- بولقطيب الحسين، المجال والسلطة بالمغرب الوسيط، المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، ع.١١-١٢، ١٩٩٠.

- بولقطيب الحسين، النشاط الإقتصادي لبعض حواضر المغرب الإسلامي أواخر ق.٥ وبداية ق.٦هـ، ضمن "المدينة في تاريخ المغرب العربي"، منشورات كلية الآداب- ابن مسيك، الدار البيضاء.

- جلول مراد، تخطيط المدينة العربية الإسلامية من خلال المدينة العتيقة ببنزرت عبر التاريخ، ضمن "أعمال الندوة السنوية التاريخية لمدينة بنزرت"، دورتا سنة ١٩٩١ و١٩٩٢، نشر جمعية صيانة المدينة، بنزرت.

- حافظي علوي حسن، الجباية على عهد يوسف بن تاشفين، ضمن ندوة "يوسف بن تاشفين"، سلسلة منشورات مؤسسة البشير، ع.١، ٢٠٠٠.

- حافظي علوي حسن، الدعوة الشيعية ببلاد المغرب، ضمن "المذاهب الإسلامية ببلاد المغرب : من التعدد إلى الوحدة"، منشورات كلية الآداب- الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ١٤٧.

- حباني محمد، غزوات زيري بن عطية وتأسيس حاضرة المغرب الشرقي، مجلة كلية الآداب-وجدة،ع.٣، ١٩٩٢.

- حناوي محمد، الصفرية بالمغرب : من الدعوة إلى الإمارة، ضمن "المذاهب الإسلامية ببلاد المغرب: من التعدد إلى الوحدة"، منشورات كلية الآداب- الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ١٤٧.

- حناوي محمد، سبتة من الأصول إلى ق.١٤، مجلة كلية الآداب المحمدية،ع.٩.

- خليل أحمد خليل، حول المدينة كمرجع اجتماعي للمعرفة، الفكر العربي،ع. ٢٩، ١٩٨٢.

- زمامة عبد القادر، أبو عمران الغفجومي، مجلة البينة، مج.١، ع.٣-٤، ١٩٦٢.

- صقري فريد، الحكام والمحكومون : إبن خلدون وتناقضات المجتمع المتمدن، الفكر العربي المعاصر، ع.١٩٨٢،١٧

- طه الولي، المدينة في الإسلام، الإجتهاد، ع.٦، ١٩٩٠.

- عصمت دندش، أضواء على معاملة المرابطين لليهود، الأكاديمية،ع.١٨،٢٠٠١

- فتحة محمد، المؤسسة السلطانية والمجال : أمثلة عن العصر الوسيط، البحث العلمي،ع.٢، ٢٠٠٤.

- فتحة محمد، تنظيم المجال الحضري داخل المدينة المغربية في نهاية العصر الوسيط، ضمن "وقفات في تاريخ المغرب"، تنسيق عبد المجيد القدوري، سلسلة بحوث ودراسات رقم ٢٧، منشورات كلية الآداب- الرباط،٢٠٠١.

obeikandl.com

- قدور أحمد، تأثير المدن الكبيرة على الشبكة الحضرية في العهد الموحدي، نموذج المغرب الأقصى، ضمن "المدينة في تاريخ المغرب العربي"، منشورات كلية الآداب- ابن مسيك، الدار البيضاء.

- كاني جاك، إمارة نكور في أواسط ق.٥هـ (١١م)، البحث العلمي،ع.٢٢، س،١١ (١٩٧٤).

- لغزيوي علي، ثورة زيري بن عطية على المنصور بن أبي عامر ونتائجها، ضمن "المغرب الشرقي بين الماضي والحاضر : الوسط الطبيعي، التاريخ، الثقافة"، منشورات كلية الآداب-وجدة، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ٢.

- لكديم الصوصي مولاي إبراهيم، مراكش بين التأسيس والتمدين في العصرين المرابطي والموحدي، ضمن "مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي"، أشغال الملتقى الأول، جامعة القاضي عياض، مطبعة فضالة، المحمدية، ط.١، ١٩٨٩.

- ماكس فيبر، المدينة : معناها وشروط قيامها، ترجمة رضوان السيد، الفكر العربي،ع.٢٩، ١٩٨٢.

- محمدين محمد محمود، مفهوم الإقليم وأسلوب دراسته عند المقدسي، ضمن بحوث المؤتمر الجغرافي الأول، المجلد الثالث، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٨٤.

- محمود إسماعيل، حقيقة المسألة البرغواطية : أضواء جديدة، ضمن "مغربيات : دراسات جديدة"، مطبعة فضالة، المحمدية، ١٩٧٧.

- نصيح محمد، محددات نشأة المدينة وتطورها بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط، ضمن "المدينة في تاريخ المغرب العربي"، منشورات كلية الآداب II-إبن مسيك، الدار البيضاء.

- هـ. بيجن، تنظيم المجال المغربي عبر التاريخ، المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، ع. ٧-٨، س.٢(١٩٨٨).

LES OUVRAGES

-Arnold Toynbée, ***les villes dans l'histoire***, cités en mouvement, traduit de l'anglais par M. Matignon, Payot, Paris, ١٩٧٢.

- , Corpus des dirhams idrissites et contemporains, Daniel Eustach , Rabat, ١٩٧٠-١٩٧١. Banque du Maroc

- El Alaoui Abdel Aziz, ***le Maghreb et le Commerce transsaharien (milieu du XIème - milieu du XIVèmes)***, en vue du doctorat du ٣ème cycle, bordeaux, ١٩٨٣.

- Henri Terrasse, ***Histoire du Maroc des origines à l'établissement du protectorat français***, Casablanca . , ١٩٤٩

- Henri Terrasse, ***L'art hispano-mauresque : des origines au XXV***, Paris, ١٩٣٢.

- Lewis Mumford, ***la cité à travers l'histoire***, traduit de l'American par Guy et Gérard , édition Seuil, Paris. Durand

- Michel Terrasse, ***Islam et Occident méditerranéen : de la conquête aux Ottomans***, C.T.H.S, Paris, ٢٠٠١.

- Vincent Lagardère, ***les Almoravides***, éditions l'harmattan, Paris, ١٩٨٩.

LES ARTICLES

- A. Miquel, *Encyclopédie de l'Islam* : **matière « KASBA »**, T.IV, leiden, ١٩٧٨.

- Abbes Jirari, les Almoravides (Etat-Doctrine- Oeuvre), دراسات إفريقية، ع.٢، ١٩٨٦-

- Bernard Rosemberger, Tamdult : cité minière et caravanière présaharienne

(IX^{ème} - XIV^{ème}S.), *Hespéris-Tamuda*, vol. XI.

, les Premières villes islamiques du Maroc : - Bernard Rosenberger *Genèse de la ville islamique en al-Andalus et "*, in géographie et fonctions , Actes recueillis et préparés par Patrice Cressier et *" au Maghreb* , , avec la collaboration de Mohamed Méouak Mercedes Gracia-Arenal , ١٩٩٨. Madrid

- Bernard Rosenberger.exploitations minières et les centres métalillurgiques du Maroc : essai de carte historique, *Revue de géographie du Maroc*, n°١٧.

- Daniel Eustache, ***les Ateliers monetaire du Maroc***, Hesperis Tamuda, Vol. XI, fascicule unique, ١٩٧٠

Eustache, El Basra, Capitale idrissite, et son port, *Hespéris, 1er – 1ème trimestre, 1900*.

- J.Célérier, les conditions géographiques du développement de Fès, *Hespéris*, T.XIX, ١٩٣٤.

-Henri Terrasse, ***la politique des Califes de Cordoue au Maroc***, Bulletin de l'enseignement public de Maroc, ٣١^{éme} années, n°١٧٩, janvier - mars, ١٩٤٤.

-M.Abitbol, ***juifs Maghrébins et commerce transsaharien : du XIIIe au XVe siècle***, in revue française d'histoire, d'outre-mer, T. LXVI.

- M. Garcia Arenal et E.Manzano Moreno , Idrissisme et villes idrisides, *Studia Islamica* , N°٨٢, ١٩٩٥.

Idrisside du Maroc "Capital ", - Patrice Cressier, Hagar al-Nassr *Genèse de "*, in septentrional : archéologie et histoire (IV^{e} H./X^{e} ap.J.C)

, Casa de *" la ville islamique en al-Andalous et au Maghreb occidental* ٣٠٩-٣١٢.., p , ١٩٩٨ , Madrid Velázquez- CSIC

- Pièrre Guichard, les villes islamiques aux siècles de leur histoire : une *Genèse de la ville islamique en al-Andalus et au* "hypothèse récente, in , Actes recueillis et préparés par Patrice Cressier et Mercedes " *Maghreb* , , Madrid , avec la collaboration de Mohamed Méouak Gracia-Arenal ١٩٩٨.

obeikandl.com